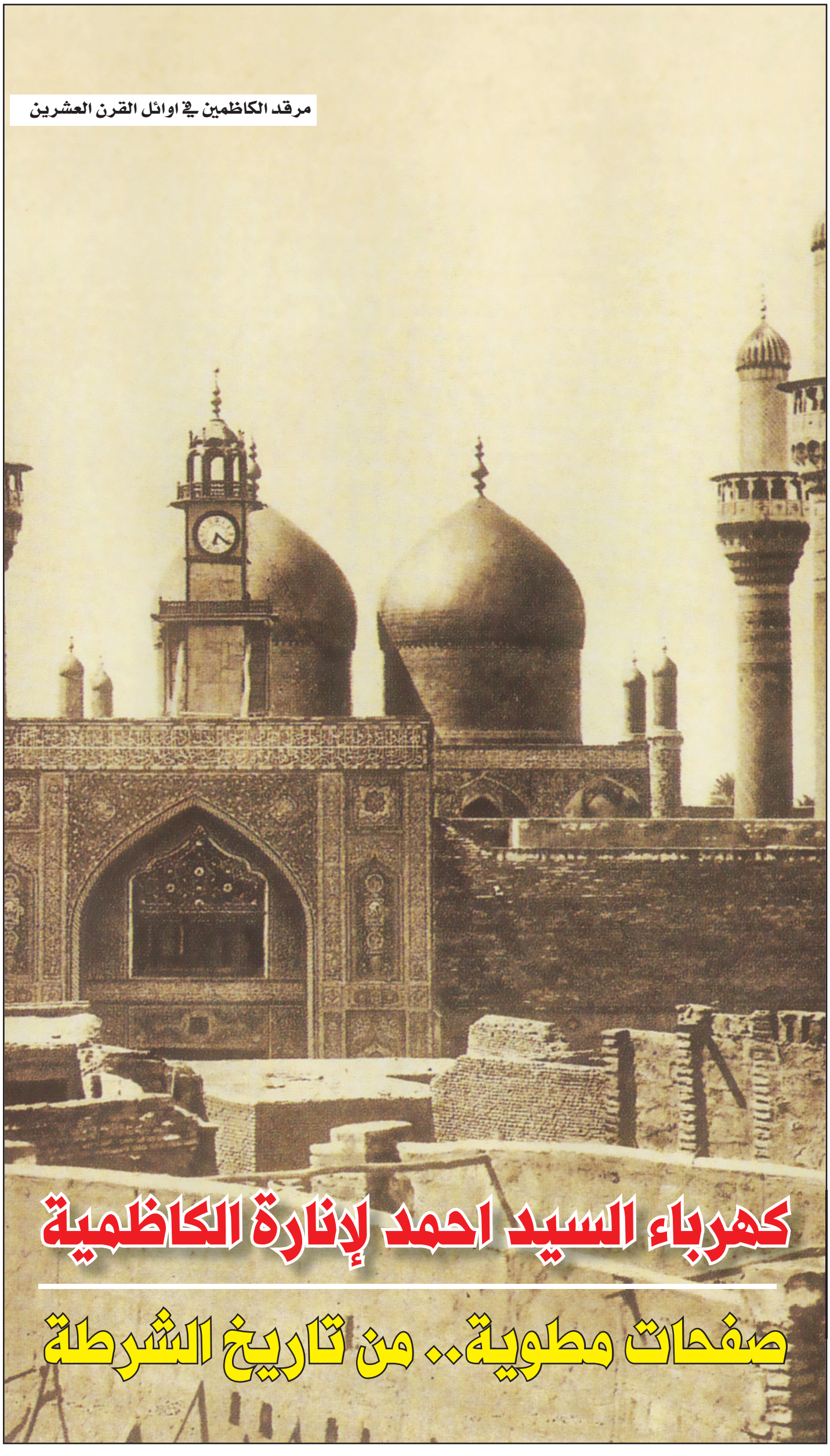

كهرباء السيد احمد لإنارة الكاظمية

صفحات مطوية.. من تاريخ الشرطة

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2512) السنة التاسعة
الاثنين (18) حزيران 2012

2

كيف تأسست مدينة العمارة؟

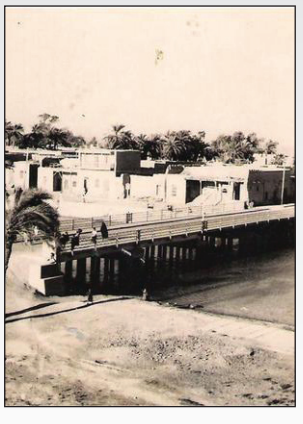

كيف تأسست مدينة العمارة؟

ناصر عامر جندال

في اواسط القرن التاسع عشر حدث خلاف شديد بين شيوخ عشيرة (البو محمد) بعد وفاة ابرز شيوخهم (فيصل بن خليفة) وتولي ابن اخيه (وادي بن منشد بن خليفة) الرئاسة اذ حرم اولاد فيصل من مقاطعاتهم مما حدا باحدهم (اشياع بن فيصل) الى التوجه الى بغداد ومن ثم الى استانبول للمطالبة بحقوقهم فحصل على فرمان (امر) من السلطات التركية هناك باستعادة حقوقهم وكان هذا يعتبر من المستحيلات في ذلك الزمان لبعد المسافات وانعدام المواصلات وقد مدح احد شعرائهم (اشياع) بقوله:

ثلث تنعام يا ولد الشموسية
حذف بغداد غرب لبو لويطيه

فأم شياع كانت من عشيرة الشموس، ولما وصل الامر الى والي بغداد سير مع شياع طابورا من الجيش ويسمى بالتركية (اوردي) وحينما وصلوا عن طريق دجلة في موقع مدينة العمارة الحالي اتصلوا بقائد الحامية التركية المقيمة هناك من اجل تسيير هذا الجيش الى موقع عشيرة (البو محمد) فابدى قائد الحامية تخوفه من مغبة الاصطدام بعشيرة البو محمد القوية المتحصنة في الاهوار وارتأى بدلا من ذلك اعطاء شياع واخوته المثلث الواقع بين انهار المشرح والكحلاء ودجلة والبتيرة (موقع العمارة الحالي) وحببها اليهم لانها خير لهم من مناطق الاهوار لطيب هوائها وحسن موقعها فتشاوروا في الامر ووافقوا على ذلك وبنوا بيوتهم اول الامر من القصب واللبن والطين ثم خططت المدينة بعد ذلك وقسمت الى احياء ودعوا اتباعهم للسكنى فيها وسميت اول الامر مدينة (الاوردي) نسبة للجيش وسماها العامة (الوردي) ثم سميت (الحد) و(السن) لشدة اصطدام مياه دجلة بشواطئ النهر، وسميت ايضا (الولاية) و(الامارة) ثم استقر الرأي اخيرا على تسميتها (العمارة) وهي كلمة مشتقة من (العمران) وكان ذلك عام ١٨٦١م.

اما كيف استوطنها المندائيون فيقال بان عوائل كثيرة من المندائيين كانت تسكن مدن (الشطرة) و(الرفاعي) و(الجبايش) وبعض قرى اهوار الناصرية في زمن شيوخ المنتفك قرروا النزوح عنها لاسباب عديدة اهمها بسبب الخلاف الشديد الذي حصل بينهم وقرروا الانتقال الى قرية (الطويل) مدينة السلام حاليا حيث تعيش عشيرة ال زيرج ثم ابدلوا رايهم وقرروا التوجه الى (الحي) او (الكوت) عن طريق نهر دجلة للعيش مع قبيلة ربيعة.

وعندما كانوا يمتطون السفن الشراعية مرورا بالعمارة راهم الشيخ (شياع) حين كان يتحول على جواده هناك فارسل احد اتباعه للاستفسار عنهم وعلم بانهم مندائيون مهاجرون يريدون التوجه الى الكوت فاستدعى كبار رجالاتهم وكان على رأسهم انذاك (جابر بن محسن بن ربح) وهو خال (الشيخ صحن بن الشيخ صكر) وسألهم عن مهنهم ولما علم بأنهم صناع وحدادون وصاغة حبب اليهم السكن في العمارة وقال لهم بانها مدينة حديثة وبحاجة الى خدماتهم وانها خير لهم من الكوت فتشاوروا في الامر فوافقوا على السكن فيها بشرط ان يمنحهم الشيخ محلة خاصة بهم قريبة من نهر الكحلاء بسبب ما تقتضيه طقوس ديانتهم فرضى بذلك واعطاهم محلة خاصة بهم سميت بعدئذ (محلة السرية) بنوا فيها مساكنهم وبمرور الزمن نزح اليها مندائيون اخرون من عربستان والبصرة ومن القصبات الاخرى فتكاثر عددهم حتى باتت المحلة تسمى باسمهم محلة (الصابئة).

هذا هو الرأي الاول والذي سمعناه شفاها عن اجدادنا واهالينا لانهم تعايشوا مع هذه العشائر وتماسوا مع احداثها.

وهناك رأي آخر يقول ان مدينة العمارة يعود تاريخها الى عهد تختلف في قدمه الروايات والاحاديث فهناك من يعزي تسمية العمارة الى عمارات شيدت في عهد الجيش التركي عام ١٢٧٨ هـ، والمشهور عن تأسيس مركز المحافظة تاريخان وذلك كما ورد في هذين البيتين من الشعر:

قل لمن يسأل عن تاريخها
قد عمرت ايام عبد القادر
ومنارة بالقادرية انشئت
.... الخ

اما تاريخ هذه المنارة فهو عام ١٢٧٩ هـ بناها والي بغداد (نامق باشا) كما يقال ان اصل تسمية مدينة العمارة يستند الى كونها كانت مقاطعة تعود الى شخص عربي في العهود السابقة اسمه (عمارة بن الوليد) وهذا رأي ضعيف.

اما اول متصرف حكمها فهو الشيخ (صالح باشا اعيان) عام ١٩٢١ اما ثاني متصرف فهو السيد (عبد الله الصانع) الذي باشر في ١٩٢٤/١٠/١ م.

اما اول مدير للشرطة فهو السيد (ظاهر حبيب).

والشوارع الرئيسية في العمارة في تلك الزمان هي:

١- شارع الامير عبد الاله الممتد من قصر (لويس برجوني) حتى نهاية لبلدة من الجهة الشمالية على خط مستقيم ويبلغ طوله ٣ كم وهو مقسوم الى قسمين تفصل بينهما حدائق وسطية ويسمى اليوم شارع دجلة.

٢- شارع الكحلاء ويمتد من مشروع الكهرباء حتى جسر الكحلاء على ساحل النهر ويسمى اليوم شارع ستين.

٣- شارع بغداد ويمتد من ديوان المتصرفية وحتى جسر الكحلاء.

٤- شارع السجن ويبدأ من المدرسة الثانوية للبنين حتى معامل الطابوق.

٥- شارع الكراج ويبدأ من حديقة البلدية الكائنة على شارع دجلة حتى دائرة البلدية.

ومن هذا الشارع تتفرع شوارع عدة مستقيمة وبمسافات مختلفة.

اما اهم مؤسسات المحافظة في ذلك الزمان فهي:

دائرة الاطفاء التابعة للبلدية بما فيها من مضخات وسيارة ودائرة البلدية والتي كان الاستاذ (عبد الخالق كرم) اول رئيس لها.

ودائرة المحاكم التي اسست عام ١٢٨٨ هـ ومن اول حكامها الاستاذ (محمود نديم) ودائرة الصحة التي بدأت بانشاء المستشفى الملكي واقدم اطبائه الدكاترة (يعقوب بني وعبد السلام عوني) اما اول صيدلية انشئت فهي صيدلية الفرات لصاحبها السيد (هنري لوقا) اما مديرية التجنيد فهي بناية ذات طابقين تقع على نهر البتيرة ومن ابرز ضباطها القدماء المقدم (احمد الحاج ايوب) مدير تجنيد منطقة اللواء اما المدارس فقد كانت في نهاية العهد العثماني مدرسة واحدة فقط هي المدرسة الرشيدية وتدرس العلوم فيها باللغة التركية ومن اشهر مدراء المعارف قديما هو الاستاذ محمود فوزي العريبي.

اما المستشفى البيطري فكان اول مفتش بيطرة له هو السيد عبد الرزاق بربوتي وهناك دائرة طابو تشرف على معاملات التسجيل العقاري ومن اقدم الموظفين فيها السيد (عمر نظمي حامد) اما اقدم فندق في المدينة فهو فندق الجواهري لصاحبه يوسف الحاج خميس.

اما بالنسبة لابناء الطائفة المندائية فقد سكنوا المدينة منذ تأسيسها عام ١٨٦١ م وكانوا يسكنون محلة خاصة بهم تسمى محلة السرية قريبة من نهر الكحلاء وكذلك سكنوا محلة الماجدية. اما اشهر مهنهم فهي الصياغة والحدادة والتجارة التي اشهروا بها ولهم مختار خاص بهم كما كان يتواجد فيها رجال الدين المندائيين.

عن/ مجلة افاق مندائية
العدد 20

ويلكوكس ومشروع سدة الهندية

لمى عبد العزيز مصطفى
باحثة اكاديمية

وجدت الدولة العثمانية أن مشكلة المياه في العراق بدأت تزداد سوءاً ، وتترتب عليها مشاكل اقتصادية واجتماعية ، ولمعالجة الموقف المتأزم ، انتدبت الحكومة العثمانية مهندس الري الانكليزي وليم ويلكوكس W Willcocks . ليقوم بدراسة مشكلة الري بشكل ميداني واقتراح الحلول الناتجة لمعالجة هذه المشكلة واعداد التصاميم الفنية لاحياء مشاريع الري في العراق ، فقام بزيارة العراق سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م وبرفقته (١٢) مهندساً مع عدد من المساحين وبعد أن مكث زهاء السنتين والنصف انجز خلالها التحريات الفنية اللازة قدم إلى وزارة الاشغال العامة (نظارة النافعة) تقريراً مفصلاً ضمنه كل ارائه وافكاره في معالجة مشاكل الري ، وارفق التقرير المذكور (٨٤) خارطة وتصميمات للمشاريع التي يتوقف عليها اعمار الاراضي وانعاش البلاد وتخليصها من اخطار الفيضانات(.

من المسائل التي ركز ويلكوكس مسالة فيضانات انهار العراق واهمية ضبطها بقوله : "لو ضبط فيضان نهري دجلة والفرات ضبطاً متقناً لبلغ وادي الرافدين في الخصوبة شاؤاً لامثيل له في التاريخ" (ولتحقيق ذلك الهدف فقد اقترح ويلكوكس اتخاذ مجموعة من التدابير وعلى الشكل الاتي

اولا. التدابير المتخذة لدرء خطر فيضان نهر الفرات .

أ. يحفر ناظم المصرف الحبانية بالقرب من منطقة الرمادي مجهز بـ(٢٥) فتحة عرض كل منها (٣) امتار ، بكلفة (٥٧,٧٠٠) ليرة تركية .

ب. حفر مصرف في وادي نهر الفرات بكلفة (٤٠,٢٠٠) ليرة تركية .

جـ. حفر مصرف في الصحراء بكلفة (٢٩٧,٦٠٠) ليرة تركية .

ثانياً. التدابير المتخذة لدرء خطر فيضان نهر دجلة :

أ. إنشاء سدة على طول الضفة اليمنى من النهر بكلفة (٤٧,٥٨٠) ليرة تركية .

ب. وضع عبارات انبوبية للري بكلفة (٥,٤٩٠) ليرة تركية .

جـ. إنشاء ناظم في محل تقاطع الصقلاوية بسد (عكركوف) بكلفة (٥,١٣٠) ليرة تركية.

هـ. إنشاء سدة في مدينة بغداد الاعظمية إلى الكرادة الشرقية حالياً بكلفة (٩,٣٦٠) ليرة تركية .

و. إنشاء ناظم ومصرف إلى نهر (دجلة) على ضفة بغداد ، بكلفة (٥,٠٤٠) ليرة تركية.

اكد ويلكوكس لنه في حالة تنفيذ هذه المشاريع فسيكون بالامكان ري ثلاثة ملايين "ايكو" ، من أفضل الاراضي في العراق التي ستتمكن من انتاج مليون طن من الحنطة ، ومئتي الف طن من القطن.

وفي جانب اخر من هذا التقرير اكد ويلكوكس على امكانية الاكتفاء بمياه نهر الفرات لارواء جميع المساحة المقابلة للارسيواء بين منطقتي الفلوجة والكوت ، وجميع الاراضي الواقعة على مجرى الحي (الغراف) ، وهو مجرى نهر دجلة القديم الممتد من الكوت إلى بلدة الناصرية ، فضلاً عن الاراضي الواقعة على مجراه الحالي المار بمدينة العمارة.

اكد ويلكوكس قابلية العراق للاعمار الزراعي وما ينتظره من مستقبل اقتصادي في وقت ازدادت فيه اطماع بريطانيا في العراق ، خاصة عندما يقول "أن امامنا الان احياء بلاد قديمة اسمها مرادف للخصب والفلاح منذ قرون عديدة فإنها كانت مطمح انظار الفاتحين فالدولة التي كانت تمتلك البلاد في العصور الغابرة كانت تمتلك المشرق وليس على وجه البسيطة ارض اصلح من اراضي العراق لزراعة الحبوب".

ويمكن تقسيم المشاريع التي اقترحها ويلكوكس في هذا التقرير إلى مجموعتين:-

أ. المجموعة الأولى .

مجموعة الفرات التي تشمل على :-

١. مشروع سدة الهندية الذي اشتمل على إنشاء سدة الفرات في جنوب المسيب لتامين تجهيز المياه في شط الحلة وفي جداول الكفل وبني حسن والحسينية.

٢. مشروع بحيرة الحبانية ومنخفض ابي دبس والغرض من ذلك استخدام هذين المشروعين المكملين لبعضهما بتحويل مياه فيضان نهر الفرات اليهما .

٣. مشروع سد الفلوجة ويشمل إنشاء سدة الفرات بجوار الفلوجة. وشق جدولين واسعين من مقدم السد لارواء الاراضي الواقعة بين دجلة والفرات اولهما يسير في مجرى الصقلاوية القديم (الكرمة) ليصب في منخفض عكركوف ومن ثم يفتح جدول يأخذ ماءه من الجهة الجنوبية الشرقية فيسير في موازاة الضفة اليمنى لنهر دجلة وينهي قرب بلدة الكوت على أن يروي هذا الجدول وفروعه الاراضي الواقعة على الضفة اليمنى لنهر دجلة حيث اطلق على هذا الجدول اسم جدول دجلة الايمن . وحين يتفرع الجدول الرئيسي الاثني من نهر الفرات في نقطة تقع إلى الجنوب من صدر الجدول الاول ، ويمتد بمحاذاة الضفة اليسرى لنهر (الفرات) حتى يصل إلى صدر جدول (الاسكندرية) فيغذي كل الجدوال التي تتفرع من الضفة اليسرى لنهر الفرات (كجدول ابي غريب – وجدول اليوسفية- وجدول اللطيفية وجدول الاسكندرية) ، وسمي هذا الجدول (جدول الفرات الايسر.

ب. المجموعة الثانية :-

مجموعة نهر دجلة واهمها مشروع سدة الكوت الذي يؤمن ايصال الماء إلى شط الفرات المندرس ، ومشروع سد بلد الذي يساعد على احياء منظومة الجداول القديمة الواقعة على ضفتي نهر دجلة في شمال الدلتا ، وهي النهروان على الضفة اليسرى والاسحاقي والدجيل على الضفة اليمنى ، كما اقترح استخدام منخفض الثرثار لتحويل مياه فيضان نهر دجلة إليه من خلال إنشاء سدة على نهر دجلة في جوار سامراء وفتح ترعة تأخذ المياه من الجانب الايمن للنهر أما السدة فتنتهي إلى المنخفض وكان ويلكوكس اول من لفت النظر إلى امكانيات منخض الثرثار مياه فيضانات نهر دجلة اليه(.

ولما كانت هذه الدراسة تستند إلى الاحصائيات الفنية والخاصة بتسجيل مستويات لذلك انشأ ويلكوكس مقياساً على الضفة اليسرى لنهر دجلة عند دار القنصلية البريطانية ، لرصد مناسيب المياه ، ومن ثم الاستعانة به في دراسة أحوال النهر داخل مدينة بغداد ، حيث عرف هذا المقياس بمقياس بغداد (الكمرك) الذي عد اول مقياس يتم انشاؤه في ذلك الوقت(.

عد التقرير الذي قدمه ويلكوكس أحد الوثائق المهمة التي افادت العراق فيما بعد للاسباب الاتية :-

١. أنه كان بداية للتخطيط الصحيح في ري العراق .

٢. أن اراءه بقيت حصينة وظهر عدد من إلى حيز التنفيذ بعد عشرات السنين .

٣. لقد حدد التقرير وبصورة صحيحة كيفية توزيع المياه ، ووضع الاسس في كيفية درء خطر الفيضانات.

واجه ويلكوكس خلال دراسته ومسحه للمناطق المنوي اقامة المشاريع عليها جموعة من المشاكل لعل ابرزها :-

١. أنه لايوجد معلومات عن تسوية الاراضي.

٢. لاتوجد خرائط للبلاد عليها يعتمد عليها باستثناء خرائط المسح التي قام بعض الضباط والرحالة الذين زاروا العراق .

٣. كان يجب انجاز المهمة باقصى سرعة ممكنة.

٤. أن مساحة الاراضي القابلة للارواء التي كان يقتضي اختيار انسبها للري كانت واسعة جداً .

وامام مالية الدولة العثمانية عن تحمل نفقات تنفيذ مثل هذه المشاريع. ارتؤي أن يكون انجازها تدريجياً الواحد بعد الاخر على أن يقدم الاهم على المهم ، وكان اول هذه المشاريع مشروع سدة الهندية الذي كان ويلكوكس قد اقترح اقامته في المكان تشعب فيه نهر ؟ إلى فرعي الهندية والحلة للعمل بسرعة وتامين تجهيز المياه إلى فرع الحلة الذي أخذ يجف نتيجة لتحول المجرى الرئيسي االنهر من اتجاه شط الحلة إلى اتجاه شط الهندية .

احيل انجاز المشروع إلى شركة جون جاكسون البريطانية(. ووفق شريوط منها أن يأخذ المتعهدون على أنفسهم اتمام العمل برمته مع تحميلهم التبعات المالية في حالة عدم اتمام المشروع.

بوشر العمل في بناء السدة في شباط سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م ، واستغرق العمل زهاء السنتين ، حيث تم افتتاح السدة في ١٢كانون الاول سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٣م(. بلغ طول السدة ٢٤٠ متراً ، وهي مؤلفة من ثلاثة احواض يشمل كل منها على ١٢ فتحة ، اتساع كل منها ٥ امتار ، وكل فتحة من الفتحات المذكورة مجهزة ببوابتين من الفولاذ(. وتفتح جميع ابواب السد في اثناء موسم انخفاض منسوب النهر (الصيهود) فتسد الابواب حيث يجري توزيع المياه بطريقة المناوبة(. ويوجد في الجانب الايسر ممر للسفن

عرضه (٨) امتار وطوله (٥٥) متر وعليه جسر متحرك . وتبلغ مجموع طول ارضية السدة (١١٢)متر، تتخللها(٣)خطوط من الركائن الحديدية . وفي جنوب الأرضية الرئيسية مساحة مغطاة بطبقة سميكة من الأحجار يبلغ طولها (٤٠)متر ، وتمتد الى جوار السد الغاطس ، اما الغرض الذي رصفت من اجله هذه الأحجار فهو تخفيف ضغط المياه الصاعدة عن الأرضية وفسح المجال لها لكي تترسب من تحتها دون أن تحدث ضرراً في بنائها.

كلف انجاز السدة حوالي نصف مليون جنيه استرليني وحققت منافع كبيرة جداً ، وكان بالامكان ان تتضاعف هذه المنلفع لو انها ترافقت مع صيانة الامن ، وايجاد نظام ملائم للاراضي ، علاوة على استخدام الطرق الحديثة للزراعة .

اما بالنسبة لباقي المشاريع المقترحة ، فقد بدأ العمل بانجاز مشروع منخفض الحبانية وانجزت المراحل الاولى منه الا ان العمل سرعان ما توقف أثر اندلاع الحرب العالمية الاولى. ويغلب الظن ان موظفي الشركة لسروا من لدن السلطات التركية عند نشوب الحرب.

وضعت الأدارة المحلية في ولاية بغداد مجموعة من العراقيل للحيلولة دون استمرار ديكلوكس في عمله التي اضطرته في النهاية الى تقديم استقالته(.بعد ان امضى في عمله سنتين ونصف على الرغم من ان مدة الخدمة التي تعاقد عليها هي خمس سنوات .

وفي هذا الصدد يدعي ويكلوكس ، ان والي بغداد .ناظم باشا .ابى ان يوقع على قائمة النفقات التي ارسلها(اي ديكلوكس) اليه لأن الوالي كان يضع يده على المبالغ المخصصة للمشروع وينفقها على اغراض عسكرية(. وبالرغم من اعترلض ديكلوكس على هذه الأجراءات على اعتبار ان الاتفاق بينه وبين السلطة العثمانية ،لا يعطي الحق لوالي بغداد في التدخل أو معارضته .وبقية حسم الخلاف ،احيل الموضوع الى وزارة الأشغال العامة (نظارة النافعة للنظرفيه حيث جاء رأيها في النهاية مؤيداً لوجهة نظرالوالي ، عندما اعطى الحق لوالي بغداد بمراقبة تلك النفقات.

في الوقت نفسه شنت الثقافة ، وعدداً من الشخصيات السياسية ، منها وزيرالأشغال العامة،حملة انتقاد شديدة ضد ديكلوكس ومهندسيه متهمة اياهم بالتجسس لصالح الأستخبارات البريطانية (.كما وقف آخرون موقفاً معارضاً من مشاريع ديكلوكس ،ولا سيما بعد أن دعا الى استخدام ٢٠٠٠ عامل هندي مع عوائلهم . وما ينجم عن ذلك من انعكاسات سلبية على السكان.

وبالرغم من أهمية مشروع سدة الهندية ، الا أن بعض الأنتقادات وجهت الى هذا المشروع للأعتبارات الآتية :

١- لم يأخذ المشروع بنظر الأعتبار حجم سكان العراق فهو مشروع عظيم في حين اليد العاملة في العراق قليلة .

٢- عدم استناده الى دراسة كافية لحالة الأنهار وحاجة البلاد ،وطبيعة التضاريس الجغرافية.

٣- لم يأخذ بنظر الأعتبار عند وضع المشروع مسألة تأمين الملاحة في نهر الفرات.

عن رسالة : الخدمات العامة في العراق 1869 ـ 1918 ، لمى عبد العزيز مصطفى . دكتوراه جامعة الموصل 2003

حكايات بغدادية

زهير الدجيلي
شاعر وكاتب عراقي

عندما بلعت الحوتة القمر في احدى ليالي بغداد عام 1938

في صباح الثالث والعشرين من أغسطس سنة 1938 فوجئ البغداديون بخبر نشرته جريدة العراق البغدادية بشكل اعلان يقول: (ان القمر سيخسف فوق بغداد كليا، بتمام القرص، ليلة الثلاثاء 8 تشرين الثاني سنة 1938 وسيكون الخسوف ببرج الثور، بمنزلة الدبران، والطالع درجة 15 من برج السنبلة 'التوقيع ملا جاسم بن محمد'. وهذا الشخص الذي اقام بغداد ولم يقعدها طوال اسابيع هو (بغدادي) من المثقفين المتنورين انذاك. لكن عامة العراقيين تشك دائما في اقوال هؤلاء وفلسفتهم، خصوصا اذا استخدموا العلوم في تبيان الحقائق وتفسير الظواهر الطبيعية، فهم ـ حسب راي الملا صقر ـ عبارة عن افندية يتحرشون بمعتقدات الناس ويجب ابعادهم عن بغداد!

وهذا الشخص المدعو ملا جاسم بن محمد طراز مختلف عن الملالي. فهو يهوى علم الفلك ويتابع حركة النجوم. وقد يعتبره البعض مثل صالح العجيري في الكويت. وجاء اعلان ملا جاسم بن محمد ليثير جدلا في معظم احياء بغداد واصبح حديث مقاهيها. فخسوف القمر في المعتقد الشعبي يعني أن القمر ستبتلعه 'الحوتة' وعلى الجميع اعلان النفير العام على هذه 'الحوتة' المنحوسة المتورطة بتشويه جمال القمر في حياة الناس.

البحث عن ملا جاسم

بات البغداديون خائفين من كارثة ستقع بعد شهرين وخمسة عشر يوما من تأريخ نشر هذا الاعلان من شخص لايعرفه الكثيرون، وقد يكون شخصا مشاغبا مثيرا للفتنة. واذا صح الخسوف فهذا يعني أن 'الحوتة المنحوسة' موجودة في بغداد وفي سماء بغداد وأنها تتربص بقمر بغداد لكي تبتلعه فيحل الظلام في سماء العالمين!

قام شقاوات محلات قنبر علي والمهدية والفضل والدهانة وخان الآل بتشكيل فرق بحث عن هذا المثقف المدعو 'ملا جاسم بن محمد' الذي جاء بخبر كسوف الشمس، وكيف ياترى علم قبل وقوع الكسوف بشهرين ونصف الشهر؟! رغم أن العلم عند الله؟

لكن المدعو ملا جاسم بن محمد اختفى من بغداد كلها وكأنه صعد الى المجرات لكي لاتطاله 'راشديات ودفرات' شقاوات بغداد. ولكي لايقدم لمحكمة علنية تسأله: كيف عرفت بخسوف القمر والعلم عند الله؟

في الساعة الثامنة والدقيقة الثالثة من ليلة الثامن من تشرين الثاني عام ١٩٣٨ أنخسف القمر وراحت 'الحوتة' - كما يعتقد البغداديون - تبتلعه في بطنها تدريجيا امام انظار الناس كما توقع الملا جاسم!

وسخطت بغداد تلك الليلة، وضجت محلاتها وسطوح دورها بمعزوفة موسيقية متضاربة يسمع صداها القادمون على بعد عشرة اميال، أما الألآت العازفة فهي عبارة عن (التنكات والجفاجير والمغارف والقدور النحاسية والصواني والقروانات والطبول)!

والكل يعزف من فوق سطوح المنازل وهم يراقبون القمر المسكين يختفي تدريجيا في بطن الحوتة، وعيونهم شاخصة اليه وهم يرددون اغنيتهم الشعبية التي يهددون بها هذه الحوتة المنحوسة بالويل والثبور:

ياحوته يامنحوتة
هدي قمرنا العالي
هذا قمرنا انريده
هو علينا غالي
وأن كان متهدينه
أندق لج بصينية
(طاق طيق، طاق طيق طاق طيق)

وتهدر اصوات الجفاجير والمغارف والملاعق والقروانات والصحون، لعل الحوتة تخاف من هذه السيمفونية البغدادية فتترك القمر وتهرب.

ياقريب الفرج!!

وفي كل دربونة أو رأس عقد (زقاق) وقف ابو طبل يضرب بطبله. ووراءه وحوله جوقة من الصبيان وبأيدي بعضهم الفوانيس ، يتصايحون و'الحوتة' لاتسمعهم ولاتأبه لصياحهم، أما العجائز في تلك الليلة المشؤومة التي ابتلعت فيها الحوتة قمر بغداد، فقد اجتمعن فوق السطوح رافعات الأيدي بالدعاء وبصوت واحد:

ياقريب الفرج!!
ياعالي بلا درج!!
قمرنا طايح أبشدة
نطلب منك الفرج!

وعلى ضفاف دجلة (من أمسناية باب المعظم الى أمسناية سبع ابكار بهذا الصوب) و(من أمسناية الجعيفر الى أمسناية الكرادة بذاك الصوب) وقفت النسوة المرضعات والزوجات الحبالى والزوجات (المجبوسات، اللي مايحبلن ويجبين) والخائفات من أن يتزوج عليهن أزواجهن.

وقفن صفوفا على ضفاف دجلة التي راح القمر يغيب عنها شيئا فشيئا، بعضهن يمسك بخيوط قصيرة تتدلى منها كرات من طين، والبعض الآخر يمسك خيوطا تتدلى منها خرزتان بيضاويتان من (خرز در نجف. الخرز اللي تطرد العين)، والجميع يعتقدون أنه حينما يصبح القمر في بطن الحوتة يتحول لون الخرز الى اللون الأزرق الغامق،

وهي في هذه الحالة تنفع الجنين في الرحم، والرضيع في المهد، وتقي من شر 'الجبسة'!!.

أما الطفل الجنين والرضيع في تلك الليلة فيجب ان يسير به 'البلم' في الشط مع أمه مسافة (سبع جساريات) واذا لم يكن هنالك جسر مطروح على جساريات في بغداد فإن على الأمهات أن يعمدن الى غسل ماليهن من ذهب (قلادة او سوار أو حجل) في الماء ورش الماء على رأس الطفل.

وبالطبع لم يكن في بغداد أنذاك غير جسرين وعدة 'جسارات'، والناس ضائعون في الخرافات، ولهذا (بلعت الحوتة القمر)! وأبتلعت معه (ملا جاسم بن محمد) مثلما ابتلعت اميركا العراق الآن، وبقي الناس في تلك الليلة المشؤومة يعزفون بالقدور والصواني والجفاجير والقروانات لعل الحوتة 'تهد' القمر وتهرب منهم، واشتد صياحهم وعلت اصوات موسيقى القدور والصواني اكثر فأكثر!

الحوتة زاعت القمر!!

وبعد ثلاث ساعات ونصف الساعة،

وحوالي الساعة الحادية عشرة وعشرين دقيقة في تلك الليلة ، طلع القمر من جديد، فتصايح البغداديون من فوق السطوح وأعالي المنائر والقوانيس واللمبات والشموع بايديهم:
زاعته الحوتة!!.. الحوتة زاعت القمر!!
خافت وزاعته!
وعلت الهلاهل. وتبادل البعض التهاني من فوق السطوح، لأن الحوتة داخت و'انسطرت' من شدة أصوات القدور والجفاجير والصواني، فزاعت أي (تقيأت) القمر وهربت خائفة من فزعة البغداديين.
وتنفست بغداد الصعداء .
وتداعى الشعراء في المقاهي ينشدون مايمكن انشاده في ذم الحوتة و'اللي جاب الحوتة'. وفي صباح يوم الثلاثاء صدرت احدى الصحف وفي صفحتها الأولى قصيدة لشاعر العراق الشعبي ملا عبود الكرخي ينوه فيها بما فعلته 'الحوتة المنحوتة' ويغمز فيها الى 'الحوتة البريطانية' التي ابتلعت العراق آنذاك عام ١٩١٧م.
وفي مقهى (عرب) في باب المعظم تحدث عرب (وهو صاحب المقهى وشخصية بغدادية شهيرة بادعاء البطولات التي تضفي على شخصيته المهابة وهي عبارة عن قصص مختلقة من صنع خياله قال للجالسين متباهيا:
'بأنه لولا هو ولولا خوف الحوتة منه لما 'زاعت' القمر وهربت، فلقد صعد إليها في ليلة البارحة بعد ان تمكن من صعود منارة جامع الامام الأعظم وقفز نحوها، وحالما رأته زاعت القمر وهربت'.

أما كيف وقع القمر في 'حلق الحوتة؟ فقد شاعت انذاك نظريتان:

الأولى: روج لها أهالي محلة (قنبر علي) فقالوا: 'ان القمر كان جاي لمحبوبته يريد يلتقي وياها، لكنه خطية تاه وظل طريقه في الجول والصحراء وبين الجبال، وكانت الملعونة الحوتة خاتلتله أهناك فكمشته وبلعته'.
الثانية: فقد تحدث بها في بادئ الأمر أهل محلة الفضل فقالوا: 'إن الحاجة عمشة أم ستوري شاهدت القمر في تلك الليلة جاي يشرب ماي من الشط، خطية عطشان، واول ما دنج على الشط حتى ياخذله قمع ماي شافته الحوتة وجرته لها وبلعته، وقامت الحاجة عمشة أتصيح لكن محد سمعها لأن بذيج الليلة نص بغداد سكارى شاربين عرق هبهب'.
أما أهل محلة 'باب الأغا' فهم على خلاف مذهبي مع المحلات المجاورة. لهذا فسروا الأسباب برواية أخرى تقول: 'إن القمر كان بالأساس في تلك الليلة 'اعور' وأنه في تلك الليلة أيضا لم يكن حاملا 'عظم الهدهد' لكي يحميه كعادته من الشر، لهذا حينما خرج للطريق لم ير 'الحوتة' التي كانت تتربص به من جهة عينه 'العورة' فمسكته وابتلعته'.
ومرت تلك الليلة بسلام، وبأقاويل وحكايات كثيرة استمرت ثلاثة اشهر. ولكن ظل البغداديون كما كانوا دائما على أهبة الاستعداد بقدورهم وجفاجيرهم وصحونهم وصوانيهم وقنادرهم ومكاويرهم للطرق عليها من فوق السطوح ليخيفوا الحوتة التي تبتلع القمر بين حين وآخر. وهم يرددون (ياحوتة يامنحوتة.. هد قمرنا العالي.. وأن كان متهدينة.. أندك لج ابصينية.. طاق طيق طاق طيق، طيق طاق).

عن جريدة القبس 2009/10

عندما اراد الهاشمي السيطرة على الملك وحاشيته..

آذار -1935 ت2 1936

د. علي العكيدي
باحث عراقي

الفترة التي قضاها المرحوم الملك فيصل الأول على رأس البلاط الملكي في العراق من آب ١٩٢٤ حتى وفاته عام ١٩٣٣ كانت فترة طويلة مليئة بالأحداث الجسام وكان الملك فيصل فيها مسيطرا على الحكومات المتعاقبة وكذلك على الأحزاب وحالات التنافس التي كانت سائدة وكان له أعوان ورجال خاصين بالبلاط يعينون في الوزارات ويكونوا عيونا له على الحكومة وعلى رأسهم كان المرحوم حيدر رستم وزير المالية ، الذي تحدث عن دوره في ذلك المجال
الأستاذ عبد القادر البراك في كتابه ذكريات أيام زمان.
أما أبنه المرحوم الملك غازي الأول الذي تولى عرش العراق بعد وفاة أبيه ،فلم يكن كأبيه في الكثير من المواقف فقد كانت له خصوصية لاسيما وهو في عمر الشباب ، إذ كان هناك ما يشغله عن مراقبة الوزارات فقد كانت له هوايات خاصة وكان مشغولا بها ومنها ولعه بعمل الفتوة ومخاطبة الشباب والتعلق بالعمل القومي ومساعدة الأشقاء العرب .....الخ من المسؤوليات التي شغلته عن أشياء كان والده يهتم بها .
في آذار ١٩٣٥ م تسلم المرحوم ياسين الهاشمي رئاسة الوزارة للمرة الثانية في حياته السياسية ، وبالنظر لكون الهاشمي يبغض النظام الملكي ويتطلع إلى أقامه نظام جمهوري في العراق فقد انسحب بغضبه إلى بغض الملك أيضا.
ونتيجة لوقوع أحداث خاصة بالعائلة المالكة وتأثير ذلك على حالة الملك الصحية والنفسية مما أدى إلى انعزاله عن السياسة فقد استغل ياسين الهاشمي ذلك الأمر وراح يصدر الأوامر والقرارات التي تحد من تدخلات الملك في أمور الوزارة . ومن ثم تحويله إلى رمز فقط أي يسود ولا يحكم أما هو (أي ياسين الهاشمي) فقد اتجه كما تؤكد مصادر التاريخ إلى الدكتاتورية أراد أن تكون في يده كل مفاتيح البلاد . فقد جاء في كتاب الدكتور لطفي جعفر– الملك غازي ودوره في سياسة العراق الخارجية والداخلية – مايلي بدأت وزارة الهاشمي في حزيران ١٩٣٦ تخطط لتبعد عن الملك كل العناصر التي لا ترغب بها وذلك في محاولةلشل حركته فبدأت برئيس التشريعات فأبدلته ، ثم نقلت خال الملك غازي الأمير حسين بن ناصر إلى ملحق في السفارة العراقية في أنقرة كما أبعدت خاله الآخر علي بن ناصر إلى القاهرة ثم قطعت علاقة الكثير من السواق والخدم بالقصر الملكي و أبدلتهم بغيرهم ، وفي نفس الوقت اصدر الهاشمي قانون الأسرة الملكية رقم ٧٥ لسنة ١٩٣٦ إذ تقرر بموجب القانون تأليف مجلس خاص من رئيس الوزراء ورئيس مجلس النواب والأعيان ووزيري الداخلية والعدلية ورئيس الديوان الملكي للنظر في قضايا زواج الأمراء والأميرات والأمور التأديبية المتعلقة بالأسرة الملكية .
ولكي يشعر ياسين الملك بأنه خاضع له فقد حاول الأشراف على خزينة الملك الخاصة وطرق صرف المبالغ المودعة فيها فطالبت وزارة المالية في ١٩٣٦/٦/٢٤ أن تقف على المبالغ التي تدفعها الخزينة الخاصة كمساعدات مالية من قبل الملك إلى بعض الأشخاص والموظفين على سبيل الإحسان .
أن الأمور أعلاه وغيرها مما لا يسمح الوقت بذكره كل ذلك فضلا عن النزعة الدكتاتورية لياسين الهاشمي جعلت الملك وأصدقاءه من ضباط الجيش أن يقدموا على عمل عسكري كبير ضده وذلك في ١٩٣٦/١٠/٢٩ سمي بالتاريخ المعاصر بانقلاب بكر صدقي الشهير الذي راح ضحيته ياسين نفسه ، وضباط آخرين وشخصيات مهمة كجعفر العسكري والذي كان غير مؤيد للكثير من سلوكيات الهاشمي ضد البلاط ألا أن بكر صدقي فضل تصفيته كونه كان وزيرا للدفاع في حكومة الهاشمي الثانية والأخيرة .

ياسين الهاشمي

الملك غازي

بكر صدقي

البساتين ومالكوها في العهد العثماني

عبد الكريم درويش
باحث عراقي

تشكلُ الوثائق العثمانية مصدرا اصيلا من مصادر كتابة التاريخ في المنطقة وتعتبر سندات الطابو العثمانية واحدة من اهم هذه المصادر لما لها من اهمية تاريخية وبعد اصدار الدولة العثمانية لقانون الاراضي اصدرت في ٨ جمادي الثانية ١٢٧٥هـ ١٣ كانون الثاني ١٨٥٩م قانون باسم قانون الطابو فجاءت مواده الـ(٣٣) لتضع امر تسوية الحقوق المتعلقة بالاراضي الاميرية وتحديدها على اسس اصح من القانون الذي سبقه (قانون الاراضي).

كما انشئ نظام قانوني لتسجيل الحجج والعقود المختصة بالاراض وقد عالج هذا القانون والنظام الصادر بعده في ٧ شعبان ١٢٧٦هـ ١٨٦٠م مسألة منح سندات (تفويض) للمتصرفين بالاراضي الاميرية والاراضي المملوكة وحقهم في توارثها كباقي الاشياء.

ادخل نظام الطابو الى العراق في عهد مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢م) وذلك في كانون الثاني من عام ١٨٧١م كجزء من اصلاحاته في العراق. حيث دعت الحاجة الى اعطاء سندات الطابو للاهالي، وثائق خاصة من اجل طمأنتهم على اموالهم غير المنقولة، وكانت هذه الوثائق تسمى سابقا بالحجج الشرعية فلما صدرت قوانين الاراضي سميت هذه الوثائق بسندات الطابو.

اختلف الكتاب في معنى لفظة طابو فذكر انها رومية اصلها (طابوس) وتعني الارض وقيل انها تركية اصلها (طابوق) وتعني الطاعة، وقد رجح الاستاذ خالد الشابندر المعنى الاول لكونه اقرب الى المعنى.

كما ورد وصف لمدينة بغداد في سالنامه بغداد يحد سنجق بغداد من الشمال ولاية الموصل ومن الشمال الغربي سنجق الزور ومن الشرق البلاد الايرانية ومن الجنوب ستجقا العمارة والمنتفك المرتبطان بولاية البصرة ومن الغرب سنجقا الديوانية وكربلاء وصحراء الشامية.

ويحد قضاء بغداد من الشمال والشمال الشرقي خراسان ومن الجنوب الشرقي العزيزية ومن الجنوب الجزيرة ومن الغرب والشمال الغربي قضاء الكاظمية وعلى ضفتي نهر دجلة توجد بساتين النخيل وبساتين تحوي اشجار مثمرة وهي تنتج محاصيل وفيرة ويسمى القسم الذي يبدأ من الجهة الجنوبية الشرقية (من الباب الشرقي) لمدينة بغداد بالكرادة الشرقية (الكرادة هي الاراضي التي تزرع بالكرد) والقسم الذي يمتد من الشمال الغربي من باب الاعظمية بالكرادة الغربية اما القسم الجنوبي الشرقي من الجانب الاخر جانب الكرخ والواقع على ضفاف النهر فيسمى بكرادة مريم.

ومدينة بغداد هي مركز القضاء واللواء والولاية وهي مركز البلاد العراقية كافة.

ان القسم الاكبر والمنتظم من المدينة يقع على الجهة الشرقية اي الضفة اليسرى لنهر دجلة ويسمى بالرصافة اما القسم الواقع على الجانب الغربي اي الضفة اليمنى فيسمى بالكرخ، وتشتهر بغداد باسم دار السلام والزوراء وهما من الاسماء القديمة لها. ان الوضع الشاعري للنهر ومجراه اللطيف واشجار النخيل الممتدة على ضفتيه والبساتين التي تحوي اشجارا مثمرة. كلها تمنح المدينة جمالا وبهاء.

واكثر مباني المدينة المنتظمة اقيمت على امتداد ضفاف النهر، ولهذا فان المناظر العامة للمدينة من النهر ملفتة للنظر ويوجد في مدينة بغداد ٣٢٥ بستانا ومزرعة ومن البساتين بقصبة الكاظمية هي:

١. بستان علي لطيف.
٢. بستان علي البلداوي.
٣. بستان صادق شبيب.
٤. بستان ياسين الدرويش.
٥. بستان عبد الحسين جلبي.
٦. بستان الحاج مجيد.
٧. بستان عبد الرزاق.
٨. بستان حاج علي محمد.

وكانت هذه البساتين تسقى بالبكرة حيث يوجد ٩٠ بكرة لسقي المزارع والبساتين في قصبة الكاظمية.

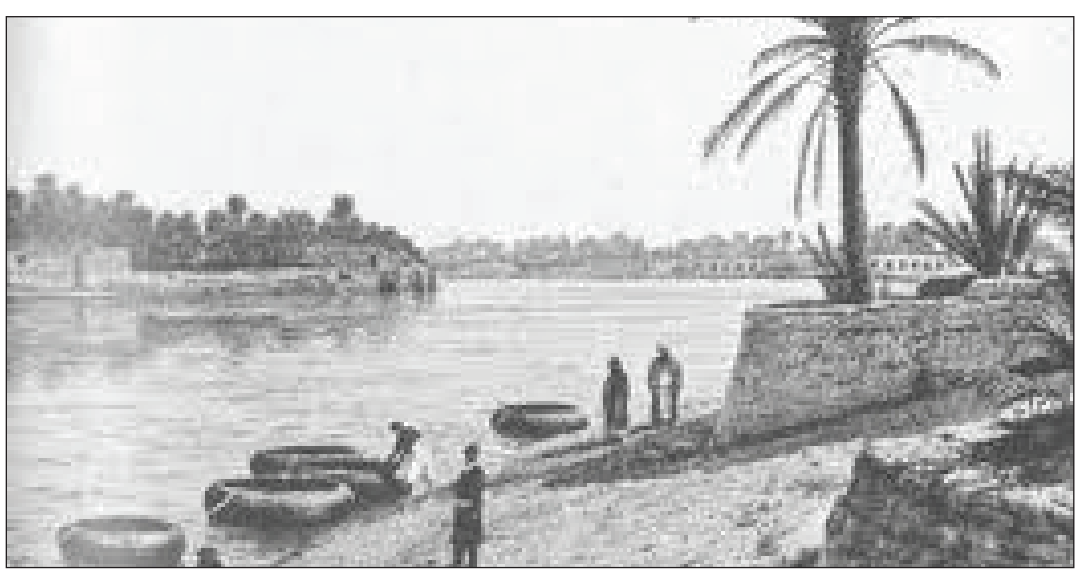

تقع مقهى البيروتي.. على الضفة اليمنى من نهر دجلة في جانب الكرخ، جنوبي جسر الشهداء، وقد نسبت هذه المقهى الى صاحبها الحاج محمد البيروتي. الذي نزح من بيروت ابان العهد العثماني واتخذ الحاج جانب الكرخ مستقرا ومقاما له منذ سنة 1897م وظل يدير هذه المقهى والتي صارت منتدى لوجوه بغداد وعلمائها وشعرائها من كل حدب وصوب وقد توفي الحاج محمد البيروتي سنة 1916.

مقهى البيروتي.. والملا عبود الكرخي

حسين الكرخي
كاتب واديب راحل

مخلفا ابنه ابراهيم وعبدالفتاح وقد احترفا حرفة ابيهم.

وكان يزور هذه المقهى الشاعر الفقيه محمد سعيد الحبوبي، كانت مقهى البيروتي من اكبر مقاهي بغداد.

حيث يرتاد هذه المقهى كبار التجار ورؤساء العشائر والاعيان ورجال الدين. وكان الشاعر المعروف الملا عبود الكرخي من الرواد الدائميين لهذه المقهى. وخلال الاجتماعات التي شهدتها المقهى.

حيث كانت تبحث القضايا العامة، وكم من وقفة سياسية قد اتخذت ضد سلطات ذلك العهد صدرت من روادها التي لم يكن زوارها من الكرخيين وحدهم ، بل ان الكثير من اعلام الرصافة كانوا يترددون عليها يوميا. فضلا عن زوار بغداد من المحافظات التي كانت تنطلق وسائل النقل اليها من جانب الكرخ.

حيث وصف المرحوم جعفر الخليلي وصفا طريفا في كتابه "هكذا عرفتهم" قائلا "اكبر مقاهي بغداد على الاطلاق، وكانت تقوم على الجسر من جانب الكرخ وتمتد على موازاة نهر دجلة، وخلفها يمتد سوق هو الطريق الوحيد الذي يسلك منه السالك الى القصور القائمة على نهر دجلة حتى السفارة البريطانية، ولم يبق اليوم اثر لمقهى البيروتي ولا للسوق وانما تقوم عليها بنايات وساحة لوقوف السيارات. وكانت مقهى البيروتي تعتبر بمثابة ناد عام.

وملتقى الجميع التجار ومضرب موعد لجميع الذين يقدمون من خارج بغداد ومن جنوب العراق خاصة وكانوا يحملون معهم الكثير من الرسائل ويسلمونها الى ابراهيم البيروتي وهو بدوره يوزعها بين اصحابها من رواد المقهى. اما ما يتبقى من الرسائل فيصفها فوق "رف خاص بالرسائل" اوفوق صندوق الرسائل ليتسلمها صاحبها حين يمر بمدخل المقهى. كان التختان المتقابلان في مدخل المقهى مخصصان للشعراء والادباء امثال الملا عبود الكرخي والحاج مجيد مكية، ومحمد سعيد التكريتي وكاظم القهراوي وشكر الملا حسين وتوفيق الخانجي عم الاستاذ يوسف العاني ومحمود الحاج جواد الشكرجي وفائق التكريتي وداود الوتار. ولم تكن في عهد محمد البيروتي العاب الورق والدومنيو والترد والزاد الصينية داخل المقهى وقد دخلت بعد وفاته .

وتولى ابراهيم ادارتها فانقلب جو المقهى من الهدوء والراحة الى صخب وضجيج مما اضطر عدد من روادها الى تركها والجلوس في مقهى اخر، وكان اول التاركين الى هذه المقهى هو المرحوم فائق التكريتي حيث جاء في قصيدة الشاعر الملا عبود الكرخي المنظومة عام ١٩٢٤م:

ترك "كهوة البيروتي"
الشهم "فايق التكريتي"
تركها، حق معاه قمار
بيها لعب ليل نهار
كال "الصاي" كال "الزار"
كال انطيني "صينيتي"
معاك الحق اخي "فايق"
على اقرانكم "فايق"
انا مثلك اخي ذايق
مرار، وانهزم نيتي
تسمع فقط حس صايات
تترادم على الميزات
وهرجه وضجه وللفوات
الاحسن اكعد بيتي

ولابد لنا ونحن نؤرخ لهذه المقهى الشهيرة ان نقول انها كانت في الفترة التي سبقت انتشار الصحف سوقا ادبية ينتابها كل من لديه الرغبة في القاء كلمة او قصيدة في المناسبات الدينية والوطنية وغيرها. وفي تلك الايام ذر قرن المهاجاة العنيفة بين الشاعر الكرخي واعوانه وشاعر من جانب الكرخ وشلته.

وكان لكل منهما رواية يتولى قراءة ما يستجد من شعره ضد الشاعر الخصم فكان فاضل الحاج عباس وهو شاعر شاب من "فحامة الكرخ" رواية الكرخي وهو البادئ بالتحرش بقصيدة من وزن "البند" اولها "الا يالعنة الله على الكرخي عبود" فاجابه الشاعر الكرخي بعشر قصائد اخزته الى يوم الدين حيث يقول فيها:

راوية عنده ها لمخنث "اسد"
اصفهاني عجمي طرطرلي هدد
كل نهاره يكوم يكعد بالبلد
صاحبه ينطيه شتمي بتسكره

ومما يجدر ذكره انه ممن هجاه الكرخي مع اسد العجمي في قصيدة تعد من روائع منظوماته الهجائية حيث يقول:

لاكتب اعلانات وانشر بالبلد
عن عمل "سلمان" واللوتي "اسد"
(اسد) لوتي من حثالة اصفهان
وصاحبه "سلمان ابن البهلوان"
كلا وجيه وحرامية من زمان
مثلهم بالبشر ما يوجد ابد!؟

الحديث يطول ويطول على هذه المقهى ولكننا بما اسلفناه من لمحات وذكريات تراثية بغدادية والى مقهى تراثي اخر.

من كتاب (مجالس الادب) ط1 1985

كظماويات

مهدي حمودي الانصاري
كاتب عراقي

الكاظمية المدينة المقدسة التي تفوح منها نكهة الماضي القريب ويسود مجتمعها الطيب الثقافة الدينية والتراثية الاثيرة.وقد تميزت بيوتها القديمة المطلة على الدروب والازقة والعكود بـ (الشناشيل) تلك الهوية الجمالية لبعض معالمها الرائعة كابواب بيوتها القديمة المرصعة بـ (المسامير الكبيرة).. الخ.

والكاظمية شأنها شأن اية مدينة عريقة.. تكثر فيها الاسواق والمحلات المشهورة مثل التل والقطانة والدبخانة والنواب والشالجية والسميلات والبحية والشيوخ والانباريين والعطيفية والعبيد وفضوة الشيخ آل ياسين..

ومن شوارع الكاظمية

باب المراد وشارع الامام موسى الكاظم (ع) وشارع باب الدروازة او ساحة قريش وشارع الزهراء.. ومحمد الجواد(ع).

ومن مراقدها ومساجدها الشريف الرضي والمرتضى وابو يوسف الانصاري وضمت الكاظمية في تربتها الطاهرة مقابر العلماء والشعراء والمؤرخين امثال:

الشيخ المفيد ونصير الدين الطوسي والناشي والبغدادي وابن الاثير وابن الجوزي والخطيب البغدادي وابن البواب والحيص بيص واخرين.

واول معمل عصري لدباغة الجلود اسسه السيد محمد جعفر ابو التمن في منطقة النواب بالكاظمية.

× جسر الأئمة اول انشائه عام ١٩٥٧.

× واول مطبعة حجرية تأسست في الكاظمية عام ١٩٢١.

× الشيخ محمد حسن آل ياسين اول من الف كتاب عن المشهد الكاظمي. وفي صحن الامامين الكاظمين موسى والجواد عليهما السلام عشرة ابواب هي:

الرحمة والمراد وقاضي الحاجات والرجاء والمغفرة والقبلة وصاحب الزمان والجواهرية وقريش الفرهادية.يقصد مرقدي الامامين موسى وحفيده محمد الجواد عليهما السلام الزائرون من جميع انحاء العالم الاسلامي والروضة الكاظمية تحتوي على اربع مآذن كبيرة واربع صغيرة وقبتين شاهقتين و اواوين

اليقظة
عواصم اليقظة (١)
ايها المسلمون

غرف الصحن الشريف يبلغ عددها ثمانية وسبعين ايوانا مشيدة وفق الطراز العربي.

ومن شعرائها المشهورين كاظم الازري وكاظم آل نوح وعبد الحسين الازري وعبد المحسن الكاظمي وطالب الحيدري وجميل احمد واخرون.

ومن الصحف والمجلات التي صدرت في الكاظمية ايام مضت اليقظة وصوت الكاظمية والوسيلة والسعادة والبلاغ واليوم تصدر (الجوادين) ومن كتاب الفولكلور في الكاظمية الدكتور حسين علي محفوظ ومهدي حمودي الانصاري وناجي محفوظ والشيخ محمد حسن آل ياسين والدكتور كامل مصطفى الشيبي وعبد المهدي الفائق وفوزي رسول وخليل الورد واخرون.

ومن ازياء الكواظمة جمع والمفردة (كظماوي) الدشداشة والجبة والزخمة والزبون والعباءة والسترة والبنطلون الخ

ومن اغطية الرأس..

الكشيدة العكال والكوفية والعمامة والطاقية والعرقجين والجراوية والسيدارة.

هذه لمحات قلمية آراءة وسريعة وعما جاء عن كظماويات وليست هذه محاكات عن بغداديات للصديق المرحوم الاستاذ عزيز جاسم الحجية وحسب ذلك ادراجه على صفحات ذاكرة عراقية الصفحة الرائعة المقروءة والجامعة للاقلام الفولكلورية في جريدة المشرق باشراف الصحفي اللامع الاستاذ عيسى الصباغ وكتب شيخ بغداد العلامة حسين علي محفوظ عن الكاظمية المقدسة هذه السطور النفيسة.. وبما يلي..

(الكاظمية مدينة علم وادب وزيارة وتجارة وزراعة وصناعة وفلاحة وملاحة وهي احدى العتبات المقدسة الثمان في الوطن العربي والعالم الاسلامي تدعى قطربل من بعد تنتسب الكاظمية الى الامامين الكاظمين موسى بن جعفر (الكاظم) وحفيده محمد بن علي (الجواد) عليهما السلام.

قامت الكاظمية مع بغداد في اواخر القرن الثاني للهجرة وهي عين بغداد وبغداد عين العراق والعراق عين الدنيا وهي ايضا اخت بغداد وبغداد ام الدنيا وسيد البلاد.

احتفلت الكاظمية بالذكرى الالفية ذكرى ١٢٠٠ قبل سنين وقد لخصت تاريخها المفصل في تاريخ الاسلام وتاريخ العرب وتاريخ العراق وتاريخ بغداد وابرزت منزلتها في العلم والادب والدين.

خرجت الكاظمية العديد من الاسر العلمية والبيوتات الادبية وهي عشرات انجبت مئات العلماء والفضلاء والادباء والشعراء والمؤلفين الذين ملؤوا الخزائن والمكتبات والقماطر بالوف المؤلفات والكتب والاسفار في مختلف ابواب المعرفة وانواع العلوم والادب والفنون)..

كهرباء السيد احمد لانارة الروضة الكاظمية

صلاح الدين سلمان
كاتب عراقي

فيْ عام ١٩٣٠ قدم من اوربا تاجر ايراني في طريقه الى طهران ونزل ضيفا عند السيد احمد المدامغة من وجهاء الكاظمية، ولاحظ ظلمات البلدة في الليل حيث كانت الانارة بالفوانيس النفطية، وحيث ان الزائر قادم من عالم مستغرق بالأنوار الكهربائية.. وعند زيارته لروضة (الأمامين الجوادين) حزّ في نفسه انها تنور بالشموع وسط ثرياتها الكبيرة الرائعة وبالفوانيس النفطية في اطرافها حيث إن البلدة يومها لا عهد لها بالكهرباء مطلقاً.. ولم يصلها تيار نوره بعد. على عكس بغداد اذ ما ان احتلت بريطانيا بغداد فجر يوم الاحد ١١-٣-١٩١٧ ودخلت جيوشها من الباب الشرقي جلبت معها اجهزة لتوليد الكهرباء ونصبتها في (محطة العباخانه) واعدت لها اطول مدخنة شاهقة في تاريخ العراق حتى لا يؤثر على راحة الاهليين.. حيث لم يكن للعراق عهد بالكهرباء. ومدت اسلاكها على اعمدتها الخشبية وعليها مصباح لانارة الشارع الترابي الوحيد في بغداد والمعروف يومها بـ(شارع العام) ثم سمي في سنة ١٩٣٦ بـ(شارع الرشيد) وكانت المحطة الكهربائية تكفي لانارة الدوائر الحكومية وبعض بيوت المسؤولين اما اهل بغداد وطرقاتها والازقة فكانت تنار بالفوانيس النفطية ومع مرور الايام دخلت الطاقة بيوت معظم الوجهاء والاثرياء واليهود والنصارى. وبعدها تولت شركة بريطانية تنوير بغداد وضواحيها والمشتركين من الاهليين وتزويدهم بالكهرباء بسعر ٢٨ فلسا لدور السكن وبسعر ١٤ فلسا للوحدة الى المعامل والدوائر وسائر المؤسسات (السيد جواد الشهرستاني). نعود الى الكاظمية فعند عودة التاجر الايراني الى بيت السيد احمد المدامغة قال لمضيفه السيد احمد: هل بالامكان ان ازودك بمولدتين للكهرباء تنور بها هذه الروضة المقدسة؟ ولك الاجر والثواب عليها. رحب السيد احمد بذلك واعد لهما مكانا خاصا في محله لتوليد الكهرباء الى الروضة واناط بمهمة التشغيل الى الطالب في كلية الحقوق (عبد الحسين القطيفي) سنة ١٩٤٠ وبقي يديرها الى ان تخرج من الكلية وتعين موظفا في وزارة الخارجية وتدرج الى ان اصبح سفيرا ثم اصبح وكيلا لوزارة الخارجية عام ١٩٥٨ واثر تزويد السيد احمد الروضة المقدسة بالطاقة الكهربائية غدت الروضة مضاءة على احسن وجه، مما جعل اهل الكاظمية يقضون معظم اوقاتهم في الاماسي بالصحن الشريف للتمتع بانوارها بالاضافة الى الزيارة وقراءة القرآن وخاصة في ليالي شهر رمضان الى الفجر.. والبعض يجلس على شكل مجاميع على الارض يتباحثون في مواضيع مختلفة دينية واجتماعية وسياسية اضافة الى السمر للتسلية وقتل الوقت. ومع مرور الايام رأني السيد احمد المدامغة ان لديه فائض من الطاقة فاخذ يزود بعض دور المحبين والمسؤولين والاصدقاء لقاء اشتراكات يدفعونها اليه. ثم توسع في تزويد البيوت والمحلات بالكهرباء بحيث اصبحت مولدة الكهرباء لا تحتمل لطاقتها المحدودة وضعفت طاقتها لدرجة ان المصباح تساوى مع الشمعة في الاضاءة حتى اخذت تنطفي في فترات متقاربة بحيث تصبح البلدة في ظلام دامس وبما ان الكهرباء في الكاظمية اقترن اسمها باسم السيد احمد وكان يقال كهرباء السيد احمد فاذا ما انقطع الكهرباء صاح الناس (أنطفا السيد احمد) واذا عاد الكهرباء صاح الناس (اشتعل السيد احمد). وقد اعتاد الناس على هذا القول واعتاد كذلك السيد احمد على سماعه باذنيه في السوق من المواطنين دون زعل..

تراموای الكاظمية

عبد الرحمن النقيب في رسائل الخاتون

د. عبد الله حميد العتابي
باحث اكاديمي

من هي المس بيل؟

يروي الدكتور جعفر عباس حميدي استاذ تاريخ العراق المعاصر في كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد حياة المس بيل بالقول: "ولدت غير ترود مرغريت لوثيان بيل سنة ١٨٦٨ في مقاطعة يوركشاير ببريطانيا وهي ابنة احد رجال الصناعة المعروفين في بريطانيا تلقت ثقافتها في جامعة اكسفورد وبعد ان نالت شهادة التفوق في التاريخ سنة ١٨٨٧ أستهوتها اللغة العربية فتعلمت شيئا من قواعدها فضلا عن مهارتها في اللغتين الفرنسية والالمانية. بدأت بيل نشاطها في عام ١٨٩٢ حينما رحلت الى طهران ومكثت فيها عدة سنوات، وفي سنة ١٨٩٩ تجولت على صهوة جوادها او على ظهور الابل في حواضر الاقاليم العربية، وبواديها، وقد شوهدت في حيفا بفلسطين عام ١٩٠٠ وهي تتلقى دروسها العربية على يد شيخين من شيوخ تلك المدينة ثم تجولت بعد ذلك في انحاء سوريا، وفي سنة ١٩٠٧ اصدرت كتابها (سوريا: البادية والمعمورة)، تجولت في المدة بين ١٩٠٩ – ١٩١٤ بين العراق وسوريا وتركيا وزارت المناطق الاثرية وقامت بجمع المعلومات عن العشائر العراقية وحامت حولها الشبهات فوضعتها السلطات العثمانية تحت الرقابة، واصدرت أمراً بالقبض عليها لكنها افلحت في الرحيل الى حائل في شمال نجد ومنه عادت الى العراق.

اصبحت المس بيل في خريف ١٩١٥ موظفة في ادارة لمخابرات البريطانية في مصر (المكتب العربي) بصفة مترجمة خبيرة، وتوثقت علاقاتها برجال المخابرات البريطانية ومنهم لورنس والدكتور ديفيد هوكارت، وفي سنة ١٩١٦ جاءت الى العراق والتحقت بقوات الاحتلال البريطاني وعينت في المكتب العربي فرع البصرة في حزيران ومن تلك السنة توثقت علاقتها بالمقدم برسي كوكس رئيس الحكام السياسيين كما تعرفت على جون فيلبي، وحينما احتل البريطانيون بغداد في (١١ آذار ١٩١٧) انتقلت بيل اليها وسكنت بيتا في محلة السنك وسرعان ما اشتهرت في بغداد بلقب (الخاتون). وللمس بيل في بغداد حياة عريضة على الصعيدين السياسي والاجتماعي شاءت ان تسجلها بنزاهة احيانا وبلا نزاهة في اغلب الاحيان في الرسائل التي كانت تبعث لابيها السير هيو بيل وزوجة ابيها فلورنس بيل، وقد توفيت الخاتون صباح يوم الاحد (١٢ تموز سنة ١٩٢٦) في بغداد عن ثمان وخمسين سنة وشيعت الى المقبرة المعروفة في ساحة الطيران في الباب الشرقي حيث دفنت هناك. نشرت رسائل المس بيل التي سجلت شؤونها الخاصة وعلاقاتها الاجتماعية ونشاطها السياسي ودورها في خدمة بلدها بريطانيا من جانب زوجة ابيها عام ١٩٢٧ في مجلدين بعنوان رسائل المس بيل سنة ١٩١٤-١٩٢٦، ثم نشرت ايضا مختارات من هذه لرسائل سنة ١٩٥٢ بعنوان رسائل مختارة للمس بيل، وقامت بعدئذ اليزابيث بوركوين بطبع رسائل بيل الشخصية فظهرت في لندن عام ١٩٦١ في مجلدين بعنوان غيروترود بيل : من رسائلها الشخصية ومنها استمد المرحوم جعفر الخياط الترجمة العربية لكتاب (المس غيرترود بيل: فصول من كتاب تاريخ العراق القريب) والذي اعتمدنا عليه وصف المس بيل لعبد الرحمن النقيب.

جاءت المس بيل للعراق في عام ١٩٠٩ للمرة الاولى كسائحة، والتقت وقتذاك بعبد الرحمن النقيب نقيب اشراف بغداد لاول مرة ، وفي ٦ شباط ١٩١٩ زارت الخاتون النقيب لوداعه بمناسبة سفرها الى انكلترا وفي هذه الزيارة تصف المس بيل النقيب بالقول: "النقيب رجل متقدم في السن احنت ظهره السنون، وقد اقعده مرض الروماتيزم بعض الشيء، ويتألف لباسه من جبة طويلة تصل بطولها الى قدميه ذات ردنين طويلين، تصنع من الكتاب الابيض محزومة في الوسط بطيات نطاق ابيض عريض. وهو يعتم بعمامة بيضاء ملفوفة حول طربوش احمر". اما وصفها لبيته: "كان النقيب منذ وقت الاحتلال يسكن في داره المقابلة لتكية عبد القادر التي يرأسها هو، حيث ان الدار التي كان يشغلها في العادة على النهر بالقرب من (المقيمية) كانت قد اخذت منه لسكن الضباط بموافقته.وبيته مرتب ترتيبا بسيطا باعتناء. وتقع الغرفة التي يستقبل فيها زواره في الطابق الاول، ولها شبابيك تطل على حديقة صغيرة زرعت فيها اشجار البرتقال. وقد صفت حول جدران الغرفة ارائك صلبة مستقيمة مغطاة بالخام الابيض".

رأي النقيب بالانكليز:

كان النقيب معجبا بالانكليز لانه يعتقد "انهم معروفون في العالم اجمع بالعدل والانصاف". ويبدو انه كان يكن بغضا شديداً للفرنسيين لان "المسلمين في الجزائر قد كابدوا الارهاق تحت حكمهم فيها". وكان يؤمن "بان البريطانيين اذا وضعوا قدمهم في مكان لا يرفعونه عنه، وهم اذا تمسكوا بشيء احتفظوا به الى الابد".

ويبرر النقيب احتلال بريطانيا للعراق بالقول: "ان الانكليز فتحوا هذه البلاد وبذلوا ثروتهم من اجلها كما اراقوا دماءهم في تربتها، حيث ان دماء الانكليز والاستراليين والكنديين ومسلمي الهند وعبدة الاصنام قد خضبت تراب العراق ولذلك فلا بد لهم من التمتع بما فازوا به. ويضيف قائلا، انني اعترف بانتصاركم، وانتم الحكام وانا المحكوم وحينما اسأل عن رأيي في استمرار الحكم البريطاني اجيب بانني من رعايا المنتصر"، ثم يسوغ النقيب تبدل دلائه من الاتراك الى الانكليز بالقول: انني لا اتردد في القول انني كنت احب الحكومة التركية عندما

كانت بالوضع الذي عرفتها فيه. واذا كان بوسعي ان اعود للخضوع الى حكم سلاطين الاتراك كما كانوا في الزمان الغابر فانني لا اختار غيرهم، لكنني اعاف واكره الحكومة التركية الحالية والعنها، (كان النقيب يشير الى الاتحاديين) وقد مات الاتراك وتلاشوا، وانا راضي بان اكون من رعاياكم".

ولا يخفي النقيب انبهاره ببرسي كوكس، إذ يقول للمس بيل: "خاتون، هناك الف ومائة رجل بوسعهم ان يشغلوا منصب السفارة في ايران (كان كوكس سفيرا لبريطانيا في طهران)، لكنه ليس هناك من يليق للعراق سوى السير بيرسي كوكس، فهو معروف ومحبوب وموضع ثقة اهالي العراق، كما انه رجل حنكته السنون" واضاف قائلا: "انه رجل ذو اعتبار كبير في لندن، وسيكون محامينا المتكلم باسمنا، فاذا ارادت الحكومة هناك (الحكومة البريطانية).

ان تعرف افكارنا سيكون بوسعه تزويدنا بالمعلومات الضرورية وستكون كلمته مقبولة، واني اشهد الله ان السير برسي كوكس لو كان موجودا في بغداد لكنا في غنى عن حماقة استفتاء الناس عن رأيهم في مستقبل البلاد، حيث ان ذلك كان سببا للاضطراب والقلاقل". واردف قائلا، انت ذاهبة الى لندن، وسوف تواجهين العظماء وتتحدثين اليهم، فقولي لهم هذا: ليعد السير بيرسي كوكس الى العراق، ولينته الحكم العسكري حيث ان دوامة غلط فاحش".

اما عن رأيه بالجنرال مود فيقول النقيب: "اننا مدينون له بعرفان الجميل، وقد كان محبوبا في بغداد". وعبر عن انطباعه عن السر ويليام مارشال "ان نبله ظاهر على وجهه".

وبرر النقيب اهتمامه بعودة كوكس بالقول: "القوة يجب ان تكون في ايام السلم في ايدي رجال الدولة وليس في ايدي العسكريين، وعليكم ان تحتفظوا بجيش لي هذه البلاد للمحافظة على الامن، لكن الجيش يجب ان يبتعد عن الحكم".

اما عن رأيه ببنود الرئيس ودرو ويلس رئيس الولايات المتحدة الامريكية ، الاربعة عشر والتي اعلنا في مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩ فقد علق النقيب، عن ذلك بالقول: ما معنى كل هذا وما قيمته؟ انني اعزو ذلك الى اميركا وكأني اسمع صوت (الرئيس) ويلسن منه، هل يعرف ويلسن الشرق وشعوبه؟ وهل يعرف هو طرق حياتنا واوصول تفكيرنا؟ انتم الانكليز حكمتم في آسيا ثلاثمائة سنة، وحكمكم هو مثال تقتدي به جميع الشعوب . فسيروا في طريقكم، ولا تخضعوا لارشاد ويلسن، فالمعرفة والخبرة هما دليلكم".

وحين استطلعت المس بيل رأي النقيب بترشيح الشريف حسين او احد انجاله لمنصب الامارة في العراق. اجابها عبد الرحمن النقيب بالقول: "انني من اقارب الشريف، وانحدر من السلالة نفسها واشاركه في مذهبه الديني ولذلك فانني ارجو ان تفهموا اني لست مدفوعا بدافع الاختلاف في الدم والعقيدة عندما اقول لكم اني سوف لا اوافق ولن اوافق على تعيين الشريف او احد انجاله اميرا في العراق، فان الحجاز غير العراق، وليس هناك علاقة بينهما غير علاقة العقيدة، فسياستنا وتجارتنا وزراعتنا كلها تختلف عن سياسة وتجارة وزراعة الحجاز.. ان الحجاز هي بلاد الاسلام المقدسة ويجب ان تبقى دولة مستقلة لوحدها يستفيد منها المسلمون كلهم، وهي اشبه بالقدس التي تعد بلدا في غاية القدسية بالنسبة للمسلمين والمسيحيين ايضا.. اما عن حكومة العراق فان كرهي للادارة التركية الحاضرة معروف لديك، لكنني افضل الف مرة عودة الترك الى بغداد على ان ارى الشريف او ابناءه ينصب احدهم هنا".

وعن امكانيه ترشيحه على رأس الدولة العراقية، اجاب: "ان صيرورتي رئيسا سياسياً للدولة هي ضد اشد مبادىء عقيدتي تأصلاً، ففي ايام جدي عبد القادر اعتاد الخلفاء العباسيون استشارته كما تطلبين انت وزملاؤك مشورتي الان، لكنه لم يكن يوافق على الاشتراك في الشؤون العامة. وسوف لا اوافق انا ولا اي احد من احفادي ان نفعل ذلك، هذا جوابي من الوجهة الدينية، لكنني ساعطيك جوابا يستند على اسباب شخصية، فانني متقدم في السن، وارغب ان اقضي الخمس او الست سنوات التي بقيت من حياتي في الدرس والتأمل حيث انهما مشغوليتي المستديمة.. وسوف لا اتراجع عما قلته الان حتى اذا كان في ذلك انقاذ العراق من الدمار التام".

شارع النهر في الثلاثينيات

توفيق بقال

الشارع قبل ربع قرن

قبل سنة ١٩٣٠ اخذ والدي دكان في شارع النهر لصياغة الفضة وقد اجر لنا بيت في محلة الكريمات وجاء والدي الى العمارة التي تعيش فيها واخذنا الى بغداد.. في ذلك الوقت لا توجد سيارة تنقل المسافرين فسافرنا في مركب زبيدة في نهر دجلة وبعد يومين وصلنا الى بغداد وكان عمري انذاك ست او سبع سنين وكان الجسر الذي تمر عليه الى الكريمات مشيد من الخشب وكان يسمونه الجاريات وفي ايام الفيضان كان الماء يصعد عليه فيصبح من الصعوبة ان نعبر عليه.. لاني كنت انقل الغذاء الى والدي وكذلك كان معي اسمر وناجي.. كان شارع النهر في ذلك الوقت غير مبلط وكله تراب وفي الشارع كانت هناك حنفية واحدة يملون منها الماء.

وكان يوجد سقا واحد يملأ قربته بالماء من الشط ويرش به الشارع مرتين في اليوم وكان الصياغ يعطونه فلوس على عمله.

في شارع النهر كان يوجد مخزن اورزدي بالك وعمر افندي وتحول محل اورزدي باك الى سوق حيدر بعد ذلك وكان حمام حيدر يقع بالقرب من هذا السوق وكنا نذهب اليه للاستحمام بعد الشغل ووراء سوق حيدر كان يقع مبنى من طابقين هو التحقيقات الجنائية وكان يطل على نهر دجلة في شارع النهر كان الصياغ كلهم صياغ فضة اما صياغ الذهب فكانوا في خان جغان او خان الشابندر ومعظم الصياغ كانوا يعودا وصياغ الفضة كانوا من مخزن اورزدي باك الى راس الجسر واذكر منهم .. عمارة وبقال وعباس كانوا في دكان واحد وجودة سهر وجاني سهر وشدود نعاس ولوتي عذاب وسكران وخماس وسبتي كانوا في دكان واحد ودايل عبد الحسن واخوه غالب وغريب وسعيد دخيل وناشور غانم واخوه نياب وصالح حاجم واخوه شاطي وضامن حوايزاوي وخابط وياسر صكر واخوه ناصر، وعنيسي فياض وخضير الخميسي ورحيم برغوث.. واضطررنا الى ان نرجع الى العمارة في مركب زبيدة او زنوبة وبقيت اعمل في تصليح الساعات والصياغة وفي سنة ١٩٣٥ رجعت الى بغداد في سيارة (ام التنته) وفيها جناحان كنا نضع امتعتنا عليها ولم يكن في السيارة زجاج وعند وصولنا يكون التراب قد غطى السيارة وغطانا ايضا انها سفرة متعبة جدا ولما رجعت الى بغداد.. وجدت الجسر مبنيا.. انتقلت مع خوالي صالح عايش وعبد الرزاق سيف وخلف جابر وناجي هرمز وكنا خمسة في دكان واحد وكان الدكان الوحيد الذي يصوغ الذهب وهناك ايضا صائغ اجنبي روسي اسمه فلادمير سيكال يعمل بالذهب ايضا مع ابنه تولا وكان عنده واحد ارمني عراقي نقاش اسمه (ارشا ويل) ولما بدأت حرب هتلر سافر فلادمير وعائلته الى لندن وزادت دكاكين صياغ الذهب في شارع النهر.. غدير باجور، ابراهيم وهام، نجم عبد الله في سنة ١٩٤١ حدثت حركة رشيد عالي الكيلاني فصارت بغداد غير امينة سافرنا الى العمارة بالسيارة ودامت الحركة ٤٠ يوما وكنت احتفظ باربعين منشور من الحركة لكنها ضاعت مع الاسف وقسم من الصياغ تحول الى الذهب شيخ عنيسى ياسر صكر صالح حاجم سالم شهيب وانفصلنا انا وجماعتي سنة ١٩٤٥ وفي تلك السنة جاء خليل مال الله واخذ دكان سبتي وهو نفسه الموجود اليوم في سنة ١٩٤٦ اخذت دكان في شارع النهر عند بيت عبد الستار المميز جبران فائق عبيدة الذين كانوا وكلاء شركة مارسيدس وفي هذه السنة وصل من امريكا عباس عمارة وعملت له عزيمة حيث اشتريت شبوطا كبيرا بدينار وربع وكان في الغداء معنا ناجي هرمز وليمة عباس وعزمته على السينما فقال اريد فلم عربي فاخذته الى سينما الحمراء الشتوي التي كانت بين شارع النهر وشارع الرشيد (الان هي البنك المركزي) مقابل عقد النصارى فاخذت لوج بـ ٣٥٠ فلسا وكان الفلم هو فاطمة لام كلثوم.. وقد احترقت سينما الحمراء الشتوي الا انها رممت وعادت الى العمل.

وفي سنة ١٩٤٨ حصلت على تلفون اربع ارقام ٦٥٤١ في ٤٩-٥٠ سافر اليهود من بغداد.. فاشتروا جماعتنا الصياغ الكثير من ذهبهم واغراضهم.. سافرت الى لبنان مع سبتي وناجي وبقينا ثمان سنين رجعت الى بغداد لابيع اغراضي وارجع الى لبنان.. فحدثت ثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ ولذلك قررت البقاء في بغداد ففتحت دكان صياغة في شارع النهر ايضا وتخصصت بالمينا الملونة والاساور واغلفة المصاحف ثم انتقلت الى الكرادة سنة ١٩٨٠ وكنا خمسة صياغ: فاخر عبد دخان، قدوري ناصر، ابراهيم شدود، مالك عودة .. ثم تركت الصياغة بعد ان كبرت ولم استطع الاستمرار في العمل.

ملاحظة: اول بيت صياغ في العمارة بيت زهرون وهم يعملون في البيت، حسني وجبوري زهرون وعبد سلوم، اما الدكاكين في العمارة فكانت : دكان منشد وجبوري وزهرون وابوه داغر وعبد الامام واكثرهم توفوا الله يرحمهم جميعا..

عن كتاب ذكريات بغدادية

جسر بغداد القديم

من بغداد الى القاهرة مع طه حسين

د. حياة شرارة
اديبة عراقية راحلة

".. يا ناس، ارحمونا وارحموا انفسكم يرحمكم الله. انني في آخر ايامي، اودعكم بكثير من الالم وقليل من الامل" انها صيحة تنطلق من حنجرة عميد الادب العربي وهو في اواخر حياته. ويرتد صداها كطعنة سكين في نفسي وانا اقرأها في المقابلة التي اجراها معه الاستاذ غالي شكري ونشرها تحت عنوان "ماذا بقى من طه حسين؟" ويجتاحني الالم واشعر بارتعاشة استياء تسري في عروقي ووجع يمسك باوتار قلبي وبعد هنيهة اتساءل، نعم ماذا بقي من طه حسين في ادراكي وفكري ومشاعري؟

وللكآبة الوان وافجعها
ان تبصر الفيلسوف الحر مكتئبا
وألوذ بالصمت وتشرد افكاري الى بداياتها الضائعة وتحوم في الزمن المنصرم الذي يلفه ضباب الاعوام الطويلة ويحجب رؤياي الواضحة له وتحاول الامساك بتلك الايام والاعوام المتفلتة من ذاكرتي واذا بها تقودني ببطء وتقف بي على مشارف عهد الصبا وتومئ الى الينابيع التي انتهلت منها معارفي واشعر على غير وعي مني بفرحة طفولية تسري بين جوانحي. فما احلاك وما اجملك يا اعوام الظما الاولى الى رحاب المعرفة! وما اشد اندفاعك وحماسك! وما اوسع امالك وامانيك!.
وها اناذي اجدني – وقد عادت بي المخيلة الى بداية الدرب الطويل، وكأنها طير من طيور الحكايات الاسطورية او دليل من ادلائها الخرافيين الذين ينهبون فيافي الزمن ويتنقلون بخفة حتى يوصلون المربد الى مبتغاه. نعم. ما اشبهها بهدهد سليمان الذي حمل كتابا منه الى ملكة سبأ وبالجن الذين اتوا بعرشها الى قصره قبل ان تصل اليه.. واتطلع من خلال الصبا الدارسة حيث حملتني الذاكرة واجتهد في تشكيل معالم بيئة الالوان لها. واذا شفتاي تفترات عن ابتسامة رضا وغبطة وهما تبصران رحلة التجوال والتطواف في بطون الكتب والدواوين التي اقبلت عليها بنهم بعد انتهاء مرحلة الدراسة الابتدائية.
اجل كانت نقطة البدء التي طالما تاقت روحي اليها وانا اسمع من حولي اسماء طه حسين والمنفلوطي وسلامة موسى وجبران وغيرهم ممن يحق لشقيقتي الكبريين ان تطالعا كتبهما لان كلا منهما اكبر مني بسنتين، بينما انا اقصر منهما باعا في الفهم لانني مازلت في المدرسة الابتدائية وهما اجتازتا هذه المرحلة.
وكنت انظر اليهما نظرة يشوبها الحسد لان سني يحرمني مما يجيزه لهما. حقا ان السنة والسنتين تشكل فوارق بين صغار السن غير انها تضعف وتتلاشى كلما كبر عمرهم حتى لايكاد العقد من الاعوام يعني شيئا في بعض الاحيان. لذلك كنت ارى في المرحلة الابتدائية عقبة كاداء تقف حائلا بين طموحاتي وتطلعاتي. ولكن ما باليد حيلة فعلي ان اتذرع بالصبر وانتظر الشهور وهي تجرجر اذيالها حتى ينطوي عام آخر وانا اكتفي بالسمع والاصغاء الى ما يتحدث به الكبار من حديث الادب والفن والعلم والسياسة.
واحصل اخيرا على شهادة الابتدائية ولم تكن الشهادة بحد ذاتها تهمني البتة ولم تكن الدراسة تروق لي عموماً لان موادها اشبه بالقيود التي تغل حيوية فكري وامانيه وتحصر المعرفة ضمن اطر واسيجه ذات مساحة محددة ولكنني كنت مع ذلك ادرس على نحو جيد ايمانا مني بان لابد مما ليس منه بد.
لقد تنفست الصعداء الان حيث اصبحت مرحلة الابتدائية بين عشية وضحاها اثرا بعد عين وانسلخت من حياتي. واذا بي لا اقبل فقط على قراءة تلك الكتب التي راودت ذهني، بل كنت انكب عليها انكبابا واعتكف عليها اعتكاف الناسك في صومعته، فاقضي سحابة يومي من العطلة الصيفية بين صفحاتها، تملؤني نشوة روحية غامرة وتخالجني مشاعر رقراقة حلوة يحسها المء لدى تحقيق حلمه المنشود وامانيه المؤملة بعد ان طال انتظاره لها ولا سيما اذا كان الانسان ما يزال في مستهل عمره غض الاهاب لين العود.
وهكذا اخذ ذلك التوق العارم الذي يمور بين جوانحي يجد سبيله الى الوجود والنماء.
كان بي عطش الى قراءة المنفلوطي، فهو البداية الشيقة التي تحلق بي في اجواء الخيال والمشاعر الجياشة والدموع الحارة. واقبلت على مطالعة "العبرات" و"النظرات" و"الفضيلة او بول وفرجيني" ابحر على صفحاتها الرومانسية واحداثها المثيرة الممتعة المؤثرة وهي تمد اشرعتها وتطويها امام بصري، وكانت العبرات تخنقني احيانا وانا اشارك البطل او البطلة مأساتهما والامهما المبرحة ولكنني اتمالك نفسي واظهر من الجلد والعزيمة ما يليق بفتاة رابطة الجاش لا "صبية" تذرف الدمع حزنا وغما لمجرد انها تطالع قصة مفجعة، فالدموع ضعف وخور لا تليق إلا بالاطفال وليست من شيم الكبار في شيء.
وهكذا اخذت اتعود اثناء رحلتي مع المنفلوطي على حبس دموعي وكبت مشاعري والمحافظة على مظهري الهادئ وانا ارى الشدائد والكوارث امام عيني وقد درجت على ذلك لا في القصص والروايات وحدها، بل حين تنزل بي المحن وتلم بي الملمات والتي عرفتها في سن مبكرة ايضا.
ويسلمني كتاب الى كتاب ويوصلني اديب الى اديب حتى انتهى الى طه حسين، واقرأ "الايام" وتنحفر صورته بخطوط عميقة في ذهني اشبه بالصورة المنحوتة بمنقاش وتهز مأساة حرمانه من نور الحياة، قبل ان يعي الدنيا ويرى الناس والطبيعة والتراب والماء، خوالج نفسي واغمض عيني ويكتنفني الظلام واتخيل انني لن ارى وجه امي وابي واخوتي ومعارفنا والنخيل والشجل وكل ما يحف بنا من ملكوت السماء والارض واشعر بانتفاضة هلع موجعة ترج طوايا نفسي واحس بطعم الحنظل في فمي وحرارة نار الغضى في اوصالي وصلاة الصخر يتوسدها بدني ويصيح صوت داخلي في روحي، رباه ما افظع ذلك واشد هوله، واحمده واشكره لانني سوية الخلقة، وافتح عيني ويزول ذلك الكابوس الثقيل الذي جثم على ذهني بضع دقائق واتنفس ملء صدري ويمثل امامي شخص طه حسين فلا ارى فيه مجرد اديب عظيم بل اراه ماردا عملاقا لا يختلف في قوته عن هرقل او شمشون الجبار، لقد قهر دياجير الظلام التي تلبدت كالغيوم في سماء حياته وتحول وسطها الى نار موقدة لا تكف عن بث النور والدفء لكل من يتطلع اليها او يدنو منها، فيا للاعجوبة التي يستطيع ان يصنعها الانسان اذا انضمت جوانحه على ارادة صارمة وقوة صلبة! وقد تأتت هذه الارادة والقوة لكاتبنا فخط اسمه بحروف المانشيت في تاريخ ادبنا.
وتثير "الايام" شوقي للاستزادة من ادبه والاغتراف من معارفه الثرة وتمتد يدي الى كتبه واحدا تلو الآخر "حافظ وشوقي" "المعذبون في الارض" حتى تصل الى "دعاء الكروان" ويستوقفني "دعاء الكروان" بقصته الشجية واقول بدل "لبيك لبيك ايها الطائر العزيز!" "لبيك لبيك ايها الكتاب العزيز" ويتردد صوت الكروان في سمعي مغنيا احزان النفس الانسانية ومذكرا بقوة الانسان الرهيبة فاذا بروحي تنحب لمأساة الفتاة البائسة وقد تهشم قلبها شظايا وهي تصدع صاغرة الى امر امها التي تقودها محطمة الفؤاد هي الاخرى الى حتفها.
وتصل صورة اخرى لطه حسين من كتاب "في الادب الجاهلي" صورة التأثر الصامد المتحدي الذي خاض في سبيله معارك ادبية حامية وعرف المحاكم والنيابة دفاعا عن هذا الكتاب، وقد هزت محاكمته بسبب "في الادب الجاهلي" مصر عام ١٩٢٦، بل وسرت هذه الهزة الى عالم الفكر في الاقطار العربية فالتهب حماسة لطه حسين ولنهجه الجديد في دراسة الادب العربي. ومع اني لم افهم كل ما انطوى عليه الكتاب من دراسة للادب وتاريخه والجاهلين ولغتهم واشعارهم وغيرها من المواضيع ولكن ذلك الدوي الذي احدثه الكتاب اثار خيالي الذي يعشق التمرد والصمود فكيف اذا كانا قد صدرا عن كاتب مثل طه حسين.
لا ادري لماذا يطيب للمرء اذا اعجب باديب او مفكر ان يراه بشخصه الحي بلحمه ودمه وكأن ذلك يلبي حاجة داخلية له وكأن ثمة خيط يربط بين ادبه وصورته التي خلق عليها. بل وقد تحدوه الرغبة لسماع حديثه ومبادلته بضع عبارات ان وجد الى ذلك سبيلا. وهذا ما كنت احسه ازاء كاتبنا الكبير. وتدور عجلة السنين وتتحقق هذه الامنية على غير انتظار ولا توقع مني وانتني الفرصة لرؤيته.
كنت في دمشق صيف ١٩٥٦ وعلمت ان اجتماعا كبيرا يعقد في الملعب البلدي تكريما لذكرى عدنان المالكي وقد دعي اليه رعيل من كبار الشعراء والكتاب ومنهم طه حسين والجواهري. اقيم الاجتماع عصرا وحضره حشد غفير من الناس رغم ان الوقت كان في شهر رمضان ومعظم الجمهور صائم.
كان طه حسين جالسا مع ضيوف الشرف وتوالى الشعراء والادباء على المنبر لالقاء قصائدهم وخطاباتهم. وكان وجهه يعبر عن الرضا والارتياح وترتسم عليه ابتسامة وادعة حين يسمع ما يروقه من ابيات وكلمات او يتخذ مظهر المصغي الاعتيادي حينما يكون الحديث مألوفا لا شيء فيه يلفت المستمع.
لم يصرفني هذا الجو المتأجج الذي اجتاح الملعب البلدي عن النظر الى طه حسين في تلك الاثناء. وكنت ارى دوما ابتسامة عريضة تشيع على شفتيه تنم على السرور والاعجاب والفرح وكأنه يشعر بنشوة روحية داخلية يفصح عنها محياه. وقد روي عنه انه قال بعد انتهاء الاجتماع ان القصيدة تنطوي على عنفوان الشعر القديم وقوته. ولعل خياله حمله في الملعب البلدي الى الماضي السحيق وذكره بايام سوق عكاظ وغيره من اسواق الشعر حيث كان الانسجام والتلاحم يسودان بين الشاعر وافراد القبيلة ويقوم التفاعل مع بعضهما بعضا ويشعران بينهما بوحدة وتداخل قويين رغم تفوق الشاعر وتميزه عنهم بملكته المبدعة.
وتشاء الظروف الا تقتصر رؤيتي لطه حسين على هذا الاجتماع وان اراه واسمعه عن كثب واجلس بين صفوف طلابه ومن صاروا اساتذة منهم ايضا. فقد سافرت الى مصر عام ١٩٥٦ لاكمال دراستي في جامعة القاهرة على متن اول طائرة اقلعت الى مصر بعد فتح مطار القاهرة مباشرة بعد اغلاقه على اثر العدوان الثلاثي. كان الظلام يخيم على المدينة حتى ليلة فتح

شرارة مع مجموعة من العراقيين في زيارة طه حسين

المطار، فالنوافذ والمصابيح الكهربائية مغلفة بورق داكن اللون سميك كيلا تظهر الانوار ليلا مخافة قصف الطائرات. وكان فتح المطار اشارة الى زوال الخطر فعادت القاهرة الى وضعها الطبيعي المألوف وانتهت فترة التعتيم واخذت الاضواء تغمر المدينة بألقها وسطوعها وفتحت الجامعة ابوابها بعد غلقها ما ينيف على الشهر وتوافد الطلبة اليها.

من طبيعة المصريين الترحيب بالضيف بكلمات لا تخلو من المبالغة لمن لم يعتد على سماعها غير انها جرت على السنتهم مجرى العادة وغدت مألوفة الاستعمال في حديثهم ولا يلتفت إلا الزائر الجديد الى مدح الغلو فيها ومع ذلك يشعر بشيء من الاعجاب والاستغراب لدى سماعها ويبتسم على غير ارادة منه لروح الفجاءة والخفة والاسراف فيها. وعندما التقيت اول مصري وربما كان ذلك في المطار او الفندق قال لي مرحباً "نورت مصر" – ومصى تعني عندهم القاهرة – واجبته مبتسمة لقد نورت مصر حقاً، اشارة مني الى ان ذلك اول يوم اضاءت فيه المدينة انوارها.

ذهبت في اليوم التالي الى جامعة القاهرة لتقديم اوراق القبول واكمال المعاملة. وقد تم كل شيء بيسر وسهولة وسرعة لم اكن اتوقعها. كان الدكتور فريد عميد كلية الاداب قد سبق له ودرس خمس سنوات في دار المعلمين في بغداد وتركت تلك الاعوام انطباعات حلوة لطيفة في نفسه. وقد اخبرني هو بذلك بانه يكن الود والحب للعراقيين ويطيب له ان يقدم يد المساعدة لهم. ووجدت منه عناية ولطفا طيلة مدة وجودي في الجامعة وكان يقوم بتدريسنا موضوع جغرافية انكلترا باللغة الانكليزية في الصف الاول.

لم اشعر في الجامعة، على عكس ما توقعت، ان البلاد خارجة لتوها من هزة العدوان الثلاثي (انكلترا، فرنسا، اسرائيل) التي تركت في نفوسنا صدى عميقا من الاستياء واثارت فينا حماسة وطنية لا توصف. كنت اظن ان حديث الطلبة سيدور حوله ويستقطب اهتمامهم واذا الشيء الوحيد الذي خلفه في نفوسهم هو ماخرهم عن الدراسة بسببه. وقد كانوا مشغولين عنه وعن احداثه مقبلين بجد وحرص على الدراسة والقراءة وحضور المحاضرات والتحضير لها. كان الطلبة العرب وحدهم هم المعنيين بالحديث عن العدوان والسياسة.

واتذكر حدثا مهما آخر لفت نظري بان الطلبة لم يحفلوا به وظلوا يتابعون المحاضرات كان شيئا لم يجر في الجامعة. فقد افتتح مؤتمر دول عدم الانحياز في القاعة الكبرى في جامعة القاهرة وحضره عبد الناصر واركان الدولة والهيئات الحكومية والشخصيات الدولية. وكانت حركة عدم الانحياز في اوج عنفوانها بعد نيل كثير من دول العالم الثالث استقلالها وانعقاد مؤتمرها الاول في باندونغ. ولذلك كان للمؤتمر وزنه الثقيل وصداه التأريخي العميق في الحياة السياسية. وكانت حركة وضجة غير اعتياديتين تشهدهما قاعة الجامعة الكبرى ويرتد صداهما الى قاعات المحاضرات ولكن جرت الدراسة بشكلها الاعتيادي ولم يغادر مقاعد الدراسة ويحضر المؤتمر سوى بعض الطلبة العرب وكنت من ضمنهم، إذ وجدت فيها فرصة قلما تتاح للمرء فكيف يمكنني ان افوتها. وبقيت هذه الـلا مبالاة بالاحداث السياسية موضع استغرابي حتى قامت ثورة ١٤ تموز وكان شهر تموز فترة عطلة طبعا ولكن حماسة الناس للثورة كانت تثير دهشتي ايضا فقد اخذوا يوزعون "الشربات" تعبيرا عن فرحتهم وسرورهم ويغادرون محلات عملهم ويتجمهرون في الاماكن التي يوجد فيها راديو لسماع آخر نشرة انباء وكانوا يبدون القلق بسبب عدم القاء القبض على نوري السعيد وهروبه في اليوم الاول، وكانت موضع اهتمامهم كما لو انها تمس حياتهم الخاصة.

سرعان ما غمرتني الجامعة في جوها العلمي وحياتها الثقافية الغنية. فكنت اسرع الى المكتبة صباحا لحجز كتاب توجد منه نسخة او نسختان ولا يعطى للاستعارة الخارجية ولا يستطيع الظفر بقراءته إلا من يبكر الى المكتبة ويحجزه باسمه ويعود الى قراءته بعد انتهاء ساعات المحاضرات، لأن الاعتماد على المصادر الخارجية هي اساس الامتحان.

لم يكن الذهاب الى المحاضرات واجبا على الطلبة فلا يسجل غياب ولا حضور ان قاعات الدراسة مشرعة ابوابها لمن يشاء الترد عليها من رغبة وطواعية، ولا شان لها بمن يعزف عنها او يتماهل في الاختلاف اليها، فلا حساب ولا عقاب للطالب الخامل فهو الذي يعاقب نفسه بنفسه ويخسر بدلا من ان ينتفع وتفوته معارف لا قبل له بتحصيلها لان المناهج مشرعة ابوابها ايضا. لا تحدها حدود كتاب واحد ولا محاضرات استاذ واحد، واساسها المعرفة الواسعة الشاملة التي تتطلب المطالعة والتفكير والادراك. ولابد للطالب من الغوص في بطون الكتب والتعرف على اراء الاساتذة ومعلوماتهم الوافرة كي يؤدي الامتحان. اما العوم على السطح فلن يجدي عنه فتيلا ولن يوصله الى غايته وسيظل قعيد مكانه، معللا نفسه بما يطيب له من الاسباب والظروف تبريرا لاخفاقه، او قد يظل على هامش المعرفة مزودا عقله بالحد الادنى منها الذي يسعفه في اجتياز الامتحان، غير ان الصعوبة كانت تواجه الجديين من الطلبة، الذين يريدون الاغتراف من ينابيع المعرفة ما وسعهم الى ذلك سبيلا. تتطلع الى جدول المحاضرات وتتملكك الحيرة: الى محاضرة اي استاذ تذهب، فهذا وذاك محاضراتهما قيمة ولكنها تلقى في نفس الساعة، وعليك ان تسرع الى محاضرة فلان قبل خمس او عشر دقائق لتجد لنفسك مقعدا تجلس فيه وإلا قضيت الوقت واقفاً ان لم يجزلك زملاؤك مكانا، وعصرا تلقى محاضرات لطلبة الدراسات العليا من اساتذة جهابذة ولابد من الاختلاف الى بعضها، وثمة اطروحات قيمة تناقش، تسجلها الاذاعة احيانا لاهميتها، ولا محيد من الاستماع ولو الى قسم منها والافادة منها. ولا محيص لك اذا اردت الاحاطة بجزء من ذلك ومتابعة دراستك اليومية المطلوبة منك، ان تقنن وقتك وتقيد منه افادة قصوى فلا مجال لاضاعته في الثرثرة والتواني والاحاديث اللا مجدية وإلا اضعت فرصا سانحة لن تواتيك فيما بعد. ولابد من الاختيار هنا كذلك، لانك لن تفلح بالاحاطة بكل ما تتوق اليه نفسك وما يصبو اليه فكرك. ولكن اضطرارك للاختيار لن يكون مثبطا لعزيمتك، بل محفزاً لطاقتك الكامنة لتبرز وتظهر بكل امكاناتها ولتهبك تلك المتعة الفكرية والراح النفسية وذلك الشعور العميق بانسانيتك وبانك لست مجرد كائن حي يدب على الارض يأكل ويشرب وينام ويعمل وإنما له عالمه الروحي الذي يريد الارتواء ويطلب الزاد ويروم ارضاء حاجته ايضا.

كنت احضر دروسنا في القسم الانكليزي صباحا وكان الاساتذة كلهم من المصريين بعد ان انسحب الاساتذة الانكليز من الجامعة اثر تاميم قناة السويس، ولكن ذلك لم يؤد الى هبوط المستوى العلمي وكان يرأس القسم الدكتور المعروف رشاد رشدي ويدرسنا مادة الشعر وكان الاساتذة ضليعين في اختصاصاتهم سواء في اللغة او الادب وعلى اطلاع باحدث الكتب الصادرة في الخارج عن مواضيعهم اما مادة اللغة العربية فتولى اهمية خصوصية فكانت الدكتورة سهير القلماوي تلقي لنا المحاضرات عن الادب العربي. اما عصرا فكنت احضر مناقشات شهادات

الدكتوراه والماجستير والمحاضرات التي يلقيها طه حسين في القسم العربي. كان يلقي بعضها في قاعة مدرجة واسعة وبعضها الاخر في حجرة لصف اعتيادي تقتصر عادة على حضور طلبة الماجستير والدكتوراه.

غير ان الحضور لم يقتصر على طلبة الدراسات العليا وانما يحضرها عدد من اساتذة القسم العربي كسهير القلماوي والخشاب وشوقي ضيف اضافة الى بعض محبي الادب، وقاعات المحاضرات كما ذكرت سابقا مفتوحة ابوابها لمن يشاء. غير ان قاعة الدكتور طه حسين تختلف عن بقية صفوف الدراسة بجو من الاجلال والمهابة يحيط به الحاضرون وجوده عفوياً فيشعر المرء فعلا انه داخل حرم له قدسيه حيث يسود صمت مطبق ولا ترى سوى اذاناً مصغية وانفاسا مكتومة وعيونا منتبهة يقظة ووجوه الحاضرين شاخصة باهتمام الى المحاضر الجالس قبالتها بجسمه النحيل ونظارتيه السوداوين ويديه المشبوكة اصابعهما ببعضهما بعضا في قبضة واحدة متوترة وهو يلقي محاضرته وكأنه يتلو صفحات من كتبه ولا يتصور المرء انه يرتجل بهذا التدفق واليسر والتلقائية لو لم يره مائلا امامه والمستمعون منشدون اليه، يصغون بتفكير وتمعن في كل ما يقوله. ورغم هالة التعظيم التي يحاط بها فانك لا تشعر بوجود حاجز بينك وبينه، فنفسه قريبة اليك قرب الهواء والماء منك، تبث الدفء فيك كنهار يشع نوراً وحرارة. اسلوبه ينساب متسلسلا كالجدول الجاري، نبرة صوته هادئة عذبة الجرس يعلق بها السمع عن طوع واعجاب. لعل هذا الابتعاد عن التعقيد والغموض هو الذي يدنيك منك ويمحو المسافات التي اقامها خيالك بينك وبينه وإذا اسلوبه اشبه بعصا موسى السحرية يمحو بلمح البصر تلك المسافات ولا تشعر إلا انك تجلس قبالة انسان يملأ منك السمع ويمتع الفكر.

يبدو احيانا وكانه يحدثك عن امور بديهية لها طبيعة الاشياء المألوفة غير انه يكشف لك عن شيء جديد فيها. شيء لم يخطر لك ببال وتظمأ له نفسك فتجد فيه نكهة لم تتذوقها من قبل واموراً كنت غافلا عنها ووضوحا وبساطة قصر عنها تفكيرك وتظل الى جنبه مصغياً مستمتعاً بذلك التجديد في فكره وحديثه.

كنت اداوم على الحضور وذات يوم وصلت متأخرة بضع دقائق عن محاضرته لطلبة الدراسات العليا ووقفت مترددة امام الباب الموصود، هل ادخل ام اعود ادراجي؟ وعز علي ان ارجع واحرم نفسي من الاستماع اليه. لا يجد المر غضاضة في دخول المحاضرات اذا تأخر عن ميعادها لدى الاساتذة الاخرين فهو شيء مالوف بل بوسعك الانصراف إذا لم ترق لك. اما في محاضرة طه حسين فالامر يختلف كل الاختلاف، انه ينبو عن الذوق السليم واللياقة. غير انني رغم معرفتي بها قررت ان لا اتخلف عن سماعه، ففتحت الباب بهدوء ودخلت وسرت دون ان احدث صوتا تقريبا ولكن الالحاظ اشرابت الي وحدجتني بنظرة يشوبها الاستياء والامتعاظ واشعرتني انني اتيت عملا غير مستساغ فكان دخولي اشبه باقتحام مكان لا يجوز اقتحامه فتملكني الخجل وتركز كل همي في ان اصل الى مقعد فارغ اشغله لأتوارى عن اعين النظارة. واجتزت الغرفة حتى اخرها حيث توجد بعض الكراسي الخالية وجلست وانا ما زلت اشعر بوخز تلك النظرات التي سددت الي. وما هي الا دقائق معدودة حتى نسيت كل هذا واندمجت في حديثه العذب. غير انني لم انس حادثة دخولي المتأخر تلك حتى الان وقد احسست بانها عمل اخرق بعد إقدامي عليه مباشرة.

لم تكن الاجواء الفكرية في القاهرة وقفا على الكتب والمحاضرات، بل كانت لها امتداداتها الرحبة ما دامت الحياة الثقافية في القاهرة متشعبة واسعة غنية وتختلط فيها المعرفة بالترويح عن النفس والتسلية الممتعة للعقل والقلب. وذات ليلة كانت دار الاوبرا تستضيف فرقة رقص اسبانية، فقرر نفر من الطلاب والطالبات العراقيات، وانا معهم، ان نذهب اليها وقداتي الحريق على دار الاوبرا قبل عشر سنوات تقريبا والتي تم تشييدها على الطراز الكلاسيكي قبل ما ينيف على مائة عام في احدى المناسبات المهمة للدولة، ان سقفها وجدرانها ومعمارها نموذج لذلك الفن وتعتبر من دور الاوبرا الشهيرة في العالم. لما انتهى الشطر الاول من الحلقة فتحت الانوار لفترة الاستراحة.

وما ان جالت عيوننا في الحاضرين حتى الفينا طه حسين وزوجه جالسين في إحدى المقصورات، وخطر ببال بعضنا ان نذهب اليه ونتحدث معه وتردد قسم منا حيث كان يشعر بالارتباك والخجل من اقحام انفسنا عليه، غير ان واحدا منا وكان اكثرنا جرأة، حسم الامر بلا اخذ ورد واصطحبنا اليه بثبات وبادر في الكلام معه فاخبره بننا طلبة من العراق وعبر له عن اعجابنا بادبه وشخصه واننا لم نستطع ان نمنع انفسنا من القاء التحية عليه والتحدث معه بضع كلمات حين وقعت ابصارنا عليه.

لاح السرور على محياه وقال انني مبتهج بهذه المبادرة الطيبة من جانبكم وقد استشفيت فيها الروح العراقية التي تجل الادب والادباء وتعرف قدرهم. وطلبنا منه ان ناخذ معه بعض لصور فلبى طلبنا ثم انصرفنا لشأننا. شعرنا بالفرح لتلك الفرصة السانحة واخذنا نتكلم ونعلق بروح الطلبة الجذلة الصاخبة يقاطع بعضنا بعضا في الحديث وكانت نفوسنا لا تخلو من شيء من العجب لان احدا غيرنا لم يقبل على تحيته وكيف يحضر حفلة لفرقة رقص وهو لايرى شيئاً. ولكن اي عجب في ذلك؟ اليست الموسيقى مصاحبة للرقص، اليس في سماعها متعة للسمع والقلب، الم يعتد على الذهاب الى المسارح في فرنسا؟ بلى، بلى، انه لكذلك، فمتطلباته الروحية وذوقه السليم يمليان عليه ان يستمتع بنتاج الفن ما وجد الى ذلك سبيلا.

مضت السنون وانطوت صورة طه حسين الشخصية في ناظري غير انها بقيت ماثلة في ثنايا ذهني، تطل علي كلما جلست مع كتاب من كتبه استعيد قراءته مجددا بعد ان طوى الزمن محتواها من ذاكرتي او كاد، واجد فيها المتعة الفكرية نفسها التي وجدتها عندما كنت اقرأها او اسمع شتاتاً منها وهو يتلوها على الحاضرين او حين يأخذ بيد القارئ والاديب برفق ولين ليحبب اليهما الادب العربي القديم بعد ان الغى نفورهما منه وضيقهما به ويبسط لهما في "حديث الاربعاء" قصائد الشعراء وما يقصدون اليه من معنى وما نتطوي عليه من صور رائعة ويشرح لهما ما كان مستغلقا عصي الفهم عليهما فيزول الغموض والابهام ويتجلى كل شيء بحلته الجميلة. واذا كان رفيقا بنا ليناً معنا عندما تقتضي الامور ذلك فهو صارم معنا شديد علينا عندما يرى اننا نضل سواء السبيل فيخيل الينا ان الكتابة شيء سهل هين فتسمعه يخاطبنا في "خصام ونقد" انه يريد "للاديب ان يكون عصيا ابيا لا يكتب لينشر في الصحف بل ينشر في الصحف لانه كتب.. ومعنى هذا كله اني اريد للادب ان يكون قبل كل شيء وعلى رغم كل شيء مقاومة بادق ما لهذه الكلمة من معنى، مقاومة للنفس التي تكره الجهد وتضيق بالعناء وتنوء بالمشقات.." نعم، الادب مقاومة، مقاومة في مختلف مضارب الحياة ابتداء من اعمق اعماق النفس وامتداداً الى دنيا الله الواسعة التي ندب ونتحرك على رقعة صغيرة منها. ويذكرني قوله هذا بمقالات "حديث الاثنين" لسانت بيف التي كان ينشر مقالا منها كل يوم اثنين ويستعير لكتابته من المكتبة الوطنية في باريس اكثر من خمسة وعشرين كتابا في الاسبوع ! لربما اراد ان يذكرنا بشيء من هذا القبيل في حياتنا الادبية.

لا اريد ان استطرد في الحديث عن الغزارة التي تزخر بها كتاب طه لانني ساجد نفسي سائره في سبيل لن ادرك له نهاية وما خطر لي على بال في ان امضي في شعابه. ولكن صيحة طه حسين ".. يا ناس، ارحمونا وارحموا انفسكم يرحمكم الله.. انني في آخر ايامي، اودعكم بكثير من الالم وقليل من الامل" تعود ترن في اذني والتي اطلقها حين سأله غالي شكري عن كتابه "على هامش السيرة" وانه من جملة ما قيل عنه انه "تحول بهذا الكتاب من النقد الادبي الى الاساطير" واتذكر العديد مما جعله يحس بالمرارة وهو يرى بعد ان اصبح طاعنا في السن الشروخ والتصدعات في كل ما بناه وما بذل حشاشة نفسه له. فها هو يتحدث بالم عن الجامعة التي اسهم في اقامتها على اساس رصين: "الجامعة كانت في زماننا محرابا للفكر، كانت قدس اقداس الحرية، اسع الان انها تحولت الى شيء شبيه بالمدارس الثانوية او المدارس المهنية المتوسطة، دعنا من هذا الموضوع، ساعدهم الله." واستغرق في التأمل والتفكير في كل ما يعاني منه وما يوجع شيخوخته وما وهبه لنا من عطاء غني ثر واردد "ماذا بقي من طه حسين" في ادراكي وفكري ومشاعري" واسمع رجع الصدى من بقاع تفصلني عنها بيد وبيد ومن زمان احتواه التاريخ في قرارة لجته، ومع ذلك فقد جاء الصدى جليا بينا ليقول لي بوضوح وصراحة: لقد بقي الكثير الكثير ولكن عليك ان تعودي الى الينابيع الاولى وتنتهلي منها كما انتهلت بالامس، فلا غنى لك ولا لغيرك عنها وما عرفت الارتواء منها في يوم من الايام ولعلك لن تعرفيه.

عن مجلة الاقلام العدد الاول (كانون الثاني 1988)

لم يكن الذهاب الى المحاضرات واجبا على الطلبة فلا يسجل غياب ولا حضور ان قاعات الدراسة مشرعة ابوابها لمن يشاء الترد عليها من رغبة وطواعية، ولا شان لها بمن يعزف عنها او يتماهل في الاختلاف اليها، فلا حساب ولا عقاب للطالب الخامل فهو الذي يعاقب نفسه بنفسه ويخسر بدلا من ان ينتفع وتفوته معارف لا قبل له بتحصيلها لان المناهج مشرعة ابوابها ايضا.

صفحات مطوية.. من تاريخ الشرطة

شكر من الملكة عالية بعد عملية في النجف!!

شاكر العاني
قاض وضابط شرطة سابق

الملكة هي جلالة الملكة عالية والدة آخر ملوك العراق الملك فيصل الثاني.

أما الموكب فكان يتكون من سيارتين ودليلهما وحارس الموكب هو العبد لله كاتب هذه السطور، أنا المفوض شاكر العاني، مأمور مركز شرطة النجف، وكان ذلك حسبما بقي في ذاكرتي عام ١٩٥٠ وقبل وفاتها باشهر عدة من تلك السنة.

كنت حينها استعد للذهاب الى بغداد بعد نهاية دوام يوم خميس لألتقي بأمي التي عادت الى بغداد بعد ان ضاقت عليها الغربة بعيدا عن ابنتها واحفادها، ولألتقي ببعض زملاء المسلك الذين انتسبوا للدراسة في كلية الحقوق لاستلم منهم نصيبي من ملازم الدروس التي ليس لها كتب مقررة، ولكن نداءاً تلفونياً وصلني من مدير شرطة كربلاء السيد/ حسين الملّي متجاوزاً رئيسي المباشر معاونه المرحوم مردان السعد، وطلب مني الحضور الى كربلاء بمفردي، وأن أصل الساعة الرابعة وقبل الخامسة في كل الاحوال من نفسي ذلك اليوم.

امتثلت للامر وركبت سيارة الجيب الحكومية التي عشقت سياقتها رغم المحاذير الرسمية التي تمنعنا من سياقة مثل تلك السيارات الحكومية واصطحبت الى جانبي سائقها في هذا الواجب المجهول الذي لم ابلغ بشكله وحدوده.

وصلت الى مسكن مدير الشرطة في كربلاء بعيد الساعة الرابعة وطلب مني الذهاب الى مقر مديرية شرطةاللواء، والانتظار بالقرب من تلفون ضابط الخفر.

نفذت ذلك الامر وقبيل الساعة الخامسة دق جرس ذلك التلفون وكان الامر الجديد أن اذهب الى دار المتصرف. وجدت سيارة مدير الشرطة الخاصة وفي تلك السنين لم يكن للمتصرفين المحافظين ولا مدراء الشرطة سيارات رسمية خاصة بهم ولا حراسات وإن كانت لهم حراسة فلا تتجاوز شرطي مسلح بمسدس يمشي وراء المسؤول الذي بتلك الدرجة، وهذا يعني بالنسبة لي ان مدير الشرطة موجود في مسكن المتصرف وعليّ أن أقابلهما وفي خاطري رقة وابوية مدير الشرطة الموما اليه وحزم وشدة المتصرف المحافظ مكي الجميل رحمهم الله.

باب المسكن

ادخلني من كان ينتظرني في باب المسكن الذي يقع على الشارع مباشرة، حيث لم يكن هناك في تلك السنين بيوت فخمة لها حدائق، وعليها حراسات مثل مساكن المسؤولين فيما بعد تلك السنين، ولا اقصد هذه السنين فقط، وأرجو من القارئ ان يعذرني ان وقعت في خطأ في تحديد التواريخ والسنين لأني اكتب من الذاكرة، وقد إمتد بي الأجل الى هذه السنين وربما تخرجني أمراض الشيخوخة عن السياق الذي اكتب فيه... فمعذرة وقد وصف الله جلت قدرته من يصل الى ما وصلت اليه بقوله:

(بسم الله الرحمن الرحيم .. وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا صدق الله العظيم.)

وجدت المتصرف ومدير الشرطة واقفين في غرفة جانبية وأديت التحية لهما رد عليّ مدير الشرطة بما يشبه التأكد من وصولي، أما المتصرف فقد كان مشدود الوجدان والنظر الى شباك يطل على الشارع.وبعد ان شعر المتصرف بوجودي التفت نحوي وقال إسمع يا شاكر، إني أعتمد عليك في هذا الواجب بعد ان رشحك مديرك وأشار الى مدير الشرطة الواقف الى جانبه.

قلت له: "حاضر سيدي"!!

قال المتصرف ان جلالة الملكة الوالدة الآن في كربلاء، ولم يذكر المكان الذي توجد فيه، وخطر في بالي لابد وأنها في زيارة مرقدي جديّها الشهيدين الحسين والعباس رضي الله عنهما، وتابعت بانتباه شديد أوامر المتصرف وكان موجزها ان جلالة الملكة متوجهة الى النجف الاشرف وعليّ أن أرافق موكبها وأبقى معها وأنفذ أي أمر او تعليمات تصدرها لي الست ملوك »... ولم اكن اعرف قبل ذلك من هي الست ملوك ولكني في هذا الواجب علمت انها هي زوجة معالي ضياء جعفر وزير المالية المستديم، ومن المقربات الى الملكة والى أميرات القصر الملكي، والست ملوك من أسرة بغدادية عريقة هي أسرة النواب من أصول هندية لهم منزلة الامراء في بلادهم، وكانت الاسرة تسكن جانب الكرخ الى جوار جسر الشهداء على نهر دجلة مباشرة، ومن هذه الاسرة علاء النواب العراقي الذي عبر مضيق الدوفر قبل ان يعبره المصري الذي اطلق عليه لقب التمساح، وان حظى علاء صديقي وزميل دراستي بتقدير من الأمير عبد الاله، إلا انه لم يأخذ ذلك الاهتمام في الاعلام العراقي، كما أخذه التمساح المصري، وامتهن علاء فيما بعد القضاء وصار قاضياً مرموقاً وظل مستمسكا بوطنه العراق بالرغم من رحيل جميع أفراد اسرته بعد انقلاب عام ١٩٥٨.

وبعد هذا الفاصل اعود الى مسير موكب الملكة.

وصلت سيارتان ووقفتا على باب مسكن المتصرف، وكان المتصرف قد خرج الى باب مسكنه بعد ان وصلته إشارة من شخص يقف وسط الشارع بانتظار الموكب، انحنى المتصرف ويده على صدره لمن في السيارة الاولى وأدى التحية العسكرية مدير الشرطة وانا معه لنفس من كان في تلك السيارة، ولم يكن معلوما ان الملكة في أي من السيارتين لان نوافذ السيارتين مُسدلة عليها الستائر، وحتى النسوة كن يضعن على وجوههن برقع ويسمى في ذلك الوقت (بوشي)، وأجسامهن ملفوفة بعباءات سود، إلا انني ادركت ان من كان في السيارة الاولى كانتا وصيفتين ملونتين لأني اقتربت من سائق تلك السيارة واعطيته تعليمات أن يسير خلفي ولا يترك مسافة كبيرة لكي لا يؤثر الغبار على ركاب تلك السيارتين لأن الطريق ما بين كربلاء والنجف الذي يبلغ طوله ١٠٠ كم غير معبد ولا يقتصر على مسلك واحد وانما له مسالك متعددة يتجنبها سواق السيارات لكثرة مافيها من الحفر وكثيرا ما تنقلب السيارات لاسيما في موسم الزيارات عندما يركب الزوار على سقوف الباصات الخشبية المتهالكة

سلكت بالموكب طريقا لم يكن مطروقا ولكنه اطول متجنبا تلك الحفر الطسات، ولأن الاوامر التي صدرت لي ان أصل بالموكب الى مرقد الامام أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه، متجنبا الزحام ودون ان يتعرض الموكب الى ما يؤخر وصوله. وقبيل غروب الشمس بوقت لا بأس به تمكنت من إيصال الموكب بسلام الى باب الطوسي الذي يقع الى الشمال من الصحن الحيدري الشريف لأن سالكيه قليلون وخاصة في هذا الوقت الذي يكون فيه عموم الزوار قد عادوا الى مساكنهم والى مدنهم وهذه الايام لم تكن موسماً لزيارة يكثر فيها الزحام. وجدت السيد حسن ابن سادن كليدار الروضة الحيدرية يقف داخل الصحن وكأنه ينتظر قدوم هذا الموكب، ابتسم بوجهي وعرفت انه مكلف بأن يكون في استقبال جلالتها، تقدمت امرأة بحجابها نحو السيد وهمست له بقول وقدرت ان من كان خلفها من بقية أولئك النسوة هي جلالة الملكة على وجه التحديد لان خطاها كانت بطيئة واهنة، وأما الاخريات وكن خلفها ووجدت ان السيد حسن قد اغلق باب المرقد الحيدري الشريف بعذر او بحجة تنظيفه، ووقفت انا خارج الرواق المؤدي الى باب المرقد الشريف، وتركت سائق سيارة الجيب في حراسة السيارتين المكيتين مع سائقهما اللذان كانت الاوامر تقتضي ان لا يتركا سيارتيهما.

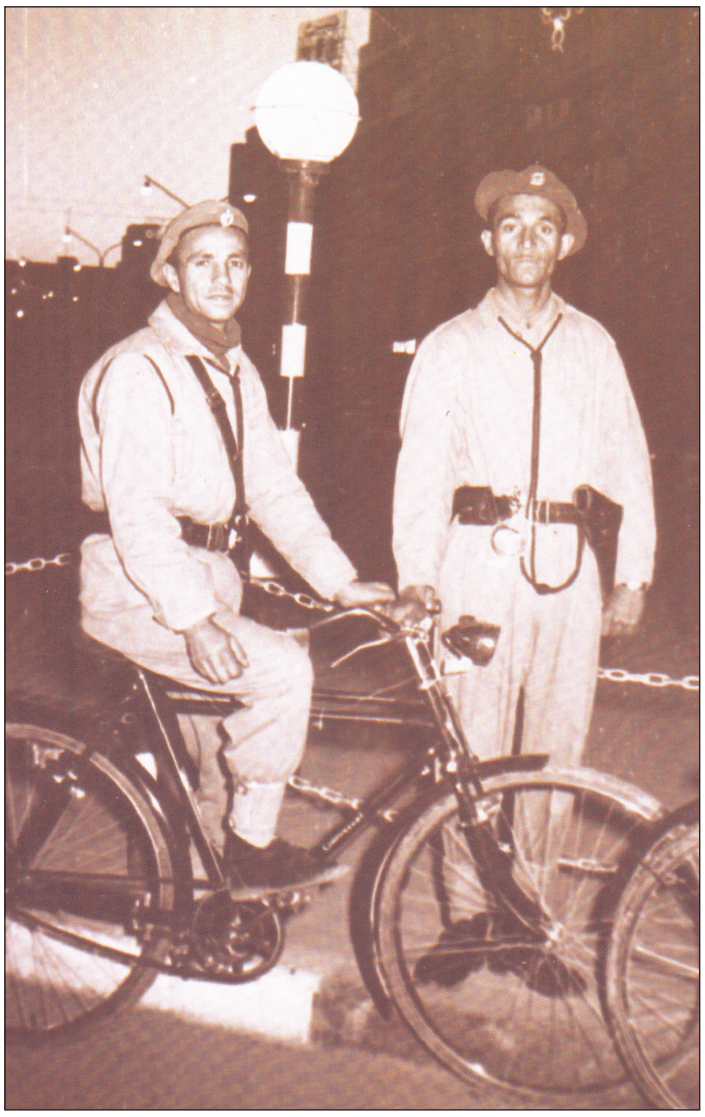

تمت الزيارة بيسر ولم يشعر احد بوجود الملكة. في هذه المرة خاطرت وتقدمت الموكب وسرت به داخل السوق الكبير باتجاه الميدان مباشرة دون الالتفاف على طريق السور الذي قدمت عليه وسط استغراب وتعجب من شاهد ذلك الموكب، سيارة الجيب العائدة للشرطة وخلفها سيارتين متشابهتين لا أحد يعرف من في داخلها، وكان المتبع ان لا تدخل أية سيارة السوق لضيقه وكثرة رواده مهما علا مقام راكبها، حتى ان جلالة الملك عبدالله ملك الاردن رغب ان ينزل في ساحة الميدان ويدخل السوق ثم الصحن الشريف مشياً على قدميه وأظنه بل وأنه أمر مؤكد بانه كان يريد اجلال صاحب المرقد. وحسب الاوامر التي بُلّغتُ بها وصلت بالموكب الى دار الاستراحة الملكية بالكوفة وكأن خدم وعمال القصر كانوا مبلغين بقدوم ضيف لأن المدخل الرئيسي كان مفتوحا والقصر مهيأ للاستقبال.

اتخذت لي مجلسا غرفة آمر مخفر الشرطة الذي في باب القصر بانتظار مايصدر لي من اوامر، بعد حوالي ساعة تقريبا جاء من اخبرني بأن الست ملوك تنتظرني، تبعت من اوصلني الى الغرفة التي كانت تقف بها تلك الست ولم تكن بتلك التحفظات التي سبق ذكرها مع حشمة في الملبس ودبلوماسية في الكلام غير مألوفة لنا نحن عامة الناس. قالت لي ان جلالة الملكة تشكرك على الجهد الذي بذلته وبدأت تفتح حقيبة صغيرة بيدها واخرجت ورقة من العملة النقدية لا اعرف والله حتى الآن مقدارها، وقبل ان تنطق الست ملوك بكلمة قلت لها انها فرصة عظيمة أن أكون في خدمة جلالة الملكة الوالدة وسوف لن اقبل أجورا مهما بلغت عن هذه الواجب الجليل.

ورقة عملة

إستجابت لطلبي واعادت ورقة العملة الى حقيبتها، واستأذنت وانصرفت. تملكني الفضول لمشاهدة الملكة لأنه كان مشاعاً بين العامة، انها مريضة وانها كما شاهدتها في مشيتها اثناء تأدية مراسم الزيارة واهنة وتكاد تتكئ على الست ملوك وملوك ملتصقة بها ولكني في الحقيقة لم أوفق لمشاهدتها إلا بتلك الهيئة لان ذلك يتطلب مني العودة الى ممرات القصر وهذا يعني تلصص لم أمارسه في حياتي في أمور اعتيادية، فكيف وأنا في هذا الواجب الملكي الجليل، نعم كان للملك فيصل الاول وابنائه واسرته منزلة تكاد تكون مقدسة في نفوس عموم الشعب العراقي، أذكر ذلك لأن ذلك الشعور كان يتملكني ولايزال. اخذت قسطا من الراحة على سرير في المخفر المذكور، وفي الساعة التاسعة جاء من أيقظني لكي ادخل القصر واتناول عشائي وفعلا ذهبت خلف من دعاني ووجدت مائدة عليها الكثير من الطعام واستأذنت ذلك الرجل باستدعاء السائق الذي كان معي لانه سيكون جائعا مثلي تماما، اما بقية افراد شرطة المخفر فالعادة ان يأتيهم الخدم أو الطباخون بنصيبهم حيث يكون تواجدهم على باب القصر في مثل تلك المناسبات.

في الصباح الباكر هيأت نفسي للقيام بآخر مرحلة من ذلك الواجب حسب الاوامر الصادرة لي، ركبت النسوة في السيارتين وتقدمتهما بالسيارة الجيب ولكن هذه المرة عبر الفرات على جسر خشبي واتجهت بهم نحو مدينة الحلة، وقبل ان أصل مشارفها، وجدت جمعاً كبيراً من الرجال يقفون على جانب الطريق، وقدرت أن لا بد وأن يكونوا هم المكلفون باستقبال جلالة الملكة، لأن الاوامر التي بلغت لي ليلا ان أصل بالموكب حيث أسلمه الى متصرف لواء الحلة، ولأني لا أعرف الرجل، فقد توجهت الى مدير الشرطة مستدلا عليه من هيئته الرسمية، وبعد أن اديت له التحية تركني وانشغل مع المتصرف بمراسيم الاستقبال، وفي تلك الايام لا توجد مكائد تنصب ولا سيارات مُلغمة تفجر، أديت التحية الى مدير الشرطة، وقلت سيدي هل انتهت مهمتي قال نعم ورجعت الى الكوفة ومنها الى النجف ولم اذهب الى بغداد لاداء الواجب الأسري الخاص الذي كنت اعددت نفسي له، ولم أشاهد الملكة كما كنت ارغب، وقد توفيت بعد أشهر من ذلك اليوم، ولم يكن لموتها ذلك الوقع الاليم الذي صاحب وفاة عمها الملك المؤسس فيصل الاول، ولا لما كان لزوجها الملك غازي، حبيب الشعب، ولا لمقتل ابنها الملك فيصل الثاني في ذلك الانقلاب العسكري الاهوج.

ومن حزن وتألم لمقتله مارس ذلك سراً إلا ضابط شرطة اسمه لطفي مظهور من ابناء بلدتي أقام له مأتما في الكوت اثناء عمله في شرطتها، وتلك حكاية ربما جاءت مناسبة وعدت إليها.

×××

ليلة القبض على محسن الرعيدي

ومحسن الرعيدي بطقجي وشقاوه بامتياز وقبل أن أحكي ليلته أذكر شيئا عن كيفية تشكيل هذه الصفة البطقجي كسلوك يتعاطاه بعض الشباب في تلك الايام ثم اذكر شيئا عن بطل حكايتي هذه محسن ولماذا لقب بالرعيدي.

من غير المعلوم لكثير من القراء انه كان يستخدم الترامواي كواسطة لنقل للركاب بين النجف الاشرف والكوفة ، ويسمى محليا كاري تجرّه الخيول، ركبت فيه ذات مرة عام ١٩٤٨ عندما ذهبت من العمارة الى النجف في أحد الواجبات الشرطوية، وعندما عملت في شرطة النجف عام ١٩٥٣ كان قد ابطل استعماله ورفعت القضبان ولم اجد اثرا لعرباته وحل محله سيارات اخذت نفس المكان وسمي الشارع الذي تتجمع فيه لنقل الركاب الى الكوفة شارع الكوفة..

وكان مثل هذا الكاري موجوداً في بغداد ينقل الركاب بين بغداد والكاظمية ،وكنت أتعلق على احد جوانبه مقلداً زملائي طلاب المدارس البغداديين، لاقطع بعض المسافة بين المدرسة والمحلة التي يقع فيها بيت الاسرة في سوق حمادة ومن المعلوم ان الراكب الذي يستعمل هذه الواسطة الكاري عليه ان يقطع بطاقة مقابل اجرة نقله وعرب هذا الاسم واصبحت تسمى تذكرة تستعمل الان في جميع وسائط النقل البرية والجوية والبحرية.

وللتعريف به البطقجي فانه ذلك الراكب الذي يتهرب من دفع قيمة البطاقة ويركب الكاري دون دفع اجرة، وتوسع استعمال هذه الصفة واصبحت تشغل فئة صغيرة من الشباب النجفي

الذين يركبون الـكَاري ولا يدفعون الاجرة، ويشترون ولا يدفعون الثمن، والاوسع من هذه الفئة يعيشون على جهد غيرهم، ومن بينهم بعض أبناء الاسر القادرة الذين لا يمارسون عمل معتمدين على مدخولات اسرهم.

فان سُئِلَ أحدهم عن عمل شاب يأتي الجواب بأنه ليس له عمل بل يكون الجواب الحاضر بطقجي.

ومحسن صاحب هذه الحكاية ليس من اسرة غنية او متوسطة الحال وعندما حققت معه عرفت ان ليس له اسرة وانما له شقيقة هي التي تحنو عليه وتسأل عن اخباره اذا وقع في مأزق وتأويه اذا ما طورد من قبل اصحابه او الشرطة..

ومحسن يعيش على الابتزاز يهدد ويعربد ويلعب القمار ويطلق النار من مسدس قديم (برابلك) من مخلفات الجيش العثماني اذا خسر في لعبة القمار ويسترد خسارته، ولهذا فبالامكان وصفه بالشقاوة (البلطجي)، ايضا ولكن اصحابه أضافوا الى اسمه الرعيدي من الرعد الذي يهز الارض اذا انطلق من السماء ومحسن اذا زمجر فإن صوته وحركاته تشبه الرعد

وبعد هذا التعريف او المقاربة التي ارجو ان لا تكون مملة أحكي لكم حكاية ليلة القبض على محسن معتمدا على ذاكرتي.

لقد استلمت مع ما استلمته من مأمور مركز شرطة النجف الذي نقلت مكانه عدة اوراق تحقيقية معها أوامر قبض على محسن الرعيدي وآخرين عجزت الشرطة عن تنفيذها بسبب ضيق ازقة النجف القديمة ولتلاصق المنازل بحيث يتمكن الهارب من القفز فوق تلك الأزقة ويتنقل من سطح منزل الى اخر والقانون والوضع الاجتماعي يمنع رجال الشرطة من المطاردة سيما وان اكثر بيوت البلدة القديمة لرجال دين واسر اخرى لها مكانتها واحترامها لذلك بقيت تلك الاوامر دون تنفيذ.

ووجدت نفسي اعجز منهم انا المقبل الجديد الى هذا البلد المقدس، ذلك انني لم ابدأ بملاحقته وكنت اتمنى ان يكفيني شره إلا ان المجتمع النجفي سيما سكان البلدة القديمة دا خل السور قد ضجوا من تصرفاته وامثاله، وجاءت المناسبة.

لقد قضيت يوما عصيبا في واجب شرطوي اوجزه ان صَفّار من أهل البلدة اعتدى بالضرب على رجل من اهل البادية قصد السوق الكبير للتسوق ولان لاهل النجف التجار واصحاب الحرف علاقة مع اهل البادية لصالح النجفيين، فقد تولى القائممقام المرحوم لطفي علي إدارة المشكلة، لان رد فعل اهل ألبادية سيكون شديدا قد يصل الى التعدي بالسلاح الناري انتقاما لما وقع لهذا الرجل وربما منع أي نجفي من الوصول الى مضاربهم في البادية وكان اشهرها كم ابن تركي والذي وقع الاعتداء على فرد من بيت الشيخ.

انتهت المشكلة بالنسبة لي لان امنت خروج جماعة البدو وسلاحهم وكانوا خمسة رجال باتجاه مضاربهم وحصلت على قرار قضائي بتوقيف المعتدي وحسبت ان ذلك قد هدأ من غضب أولئك البدو، وتلك حكاية اخرى اتركها لوقت اخر واعود الى حكاية محسن الرعيدي.

كنت على موعد مع المرحوم السيد سعيد كمونة تلبية لدعوة من المهندس البريطاني المقيم في مشروع جديد لماء الشرب لمدينة النجف الاشرف وسعيد من السادة آل كمونة النجفيين وليس من الافاضل آل كمونة شيوخ مدينة كربلاء انذاك، وما ان كنت في ساحة بيت ذلك المهندس حتى وصلني نداء تلفوني من مفوض خفر مركز شرطة النجف حميد رحمه الله الذي قتل في احد المظاهرات التي يتكرر حدوثها في تلك السنين ولانه حديث العمل بالنجف وقدراته المهنية محدودة فقد كنت اتابع ما يلقى عليه من واجبات ومن ذلك اخبره بالمكان الذي اتواجد فيه في الليل.

اخبرني المفوض حميد ان سعادة القائممقام يطلب حضوري الى المركز فورا.

سألته ان كان يعرف السبب؟

اجاب لا ادري، بس الدنيا مقلوبة!!!

دق جرس التلفون هذه المرة في غرفتي في المركز ورفعت السماعة وكان على الطرف الثاني سعادة القائممقام المرحوم لطفي علي ما وجدت في رحلتي الحياتية كرجل شرطة ومحامي رجل ذو حزم مع دهاء مثل ذلك الرجل بالرغم من عدم حصوله على شهادة دراسية.

طلب مني ان احضر الى مسكنه وذهبت بسيارة الجيب اسوقها ووجدته يقف بباب الدار. اديت التحية وقلت بيك انا حاضر.

قال ان مجرما اطلق النار على بيت ابو كلل ، وجرح طفلا وقطع التيار الكهربائي عن المنطقة واضاف بصيغة الأمر لا تعود الى المركز إلا وهذا المجرم معك وتحضره أمامي.

لم يذكر احدا في جميع هذه الدنائات واللائات اسم ذلك المجرم الذي يطلب القائممقام احضاره امامه، اصطحبت شرطي واحد وبنفس السيارة توجهت الى الدرعية المكان الذي تسكنه اسرة البو كلل ، واستأذن القارئ الخروج عن النص واحاول ان ازيل مايخطر ببالـه عن مصدر التسميتين الدرعية والبو كلل .

فالدرعية الاولى اسم علم لمدينة في الجزيرة العربية اتخذتها الاسرة السعودية عاصمة لدولتها الاولى وهدمها العثمانيون بجيش قاده ابراهيم باشا ابن والي مصر محمد علي باشا وجيش اخر قاده والي البصرة والتقيا هناك وأسقطا الدولة السعودية، هدموا الدرعية على اخر حجر فيها وابيدت الاسرة السعودية ولم ينج منها الى واحد هو الشيخ ثم الامير ثم السلطان ثم الملك عبد العزيز آل سعود مؤسس الدولة السعودية الثانية رحمه الله وكم اتمنى ان يقرأ سادتنا وكبرائنا التاريخ الحديث لهذه المنطقة، واقتداءا بهذا الاسم ولقوة حصون الدرعية الاولى سمى العثمانيون هذا الحصن الذي يقع عند ملتقى السور الغربي والجنوبي لمدينة النجف ويتحكم قتاليا بمساحة الارض المفتوحة امامه بحر النجف وما يليه من الصحراء وبسلاح مدفع واحد او مدفعين تمكن اهل النجف او الجيش العثماني من صد هجمات البدو ثم الوهابيين عن المدينة على عكس ما كان لمدينة كربلاء غير المحصنة فقد احتلها الوهابيون لاكثر من مرة. اما البو كُلل، فألبو وحدها تعني آل أو بيت أما الكلل فهي الكرات الحديدية او البرونزية التي تحشى بها المدافع مع البارود لتطلق على الاعداء وكانت هذه الاسرة البو كلل هي التي تصنع تلك الكرات وزعيمهم يومها الحاج عطية وله من الاولاد تركي وكردي وعجمي وهندي، وهندي

وصل الى درجة عقيد بالجيش ثم نقلت خدماته الى الشرطة واما كردي فكان مختار لمحلة العمارة وهذا ما كان سبب اهتمام القائممقام بذلك التعدي الذي وقع على تلك الاسرة التي لها مكانتها الاجتماعية سيما وان الحكومة مقبلة على انتخابات نيابية وتريد تجميع مؤيدين لمرشحيها السيد عطية السيد سلمان.

وصلت الدرعية بسيارتي الجيب وتبين لي الاتي:

ان الذي اطلق النار هو محسن الرعيدي بعد ان خسر في لعبة قمار في مقهى كوني التي تقع في اسفل الحصن وانه حقيقة تسبب في قطع التيار الكهربائي وان ما قيل عن جرح احد الاطفال فلم يكن صحيحا لاني طلبت مشاهدته لارساله الى الطبيب ورفض اهله وتبين انه مصاب بالحمى وافزعه صوت اطلاقات النار من مسدس الرعيدي. كانت ساحة تعقيبي لمحسن الذي طلب مني القائممقام ان لا اعود إلا وهو معي وعرة متمثلة في معامل الدباغة الموجودة اسفل السور وبيوت عشوائية للعمال ولم يدر بخللي ان محسن سيتجاوز هذه المنطقة ويدخل منازل البو عامر الكائنة على الجهة الشرقية من سفح مرتفع اقيمت عليه مدينة النجف، والنجف كما هو معلوم لغويا هو المكان المرتفع المعلق فلذلك سميت الفوانيس الكبيرة التي تعلق في السقوف نجفات ولكن صوت الاطلاقات قد وجهني الى منازل البو عامر لقد صحبني في هذا الواجب عريف مخفر شرطة الدرعية الذي يعرف مسالك الطرق، وعم الظلام في امكنة وضياء مبعثر لانارة تلك البيوت.

بقينا نفتش ونتبع صوت الاطلاقات حتى كادت شمس صباح اليوم التالي تشرق علينا واصبحنا الى جوار محلة البربر وهم جماعة من الافغان تتخذ مساكن لها على طريق المدينة المنورة وهو حقيقة الطريق الذي يسلكه الحجاج في ذهابهم الى بيت الله الحرام، وهؤلاء البربر من الافغان معروفين بشدة البأس لا يدخل احد محلتهم إلا نهارا وجهرا لحاجة متعلقة بعملهم حياكة الشعر تقام منها بيوت البدو قبل استعمال الانسجة الأخرى واخرها البلاستيكية، ولم يخطر ببالي ان محسن سيتجرأ او يتمكن دخول هذه المحلة لانهم يقومون على حراسة أنفسهم بانفسهم ولم تقع أي جريمة سرقة او تعدي وما شابه بينهم او في مساكنهم، وعند نموم الصباح بدأت أفكر بمصيري عندما اعود الى عملي وليس معي محسن الرعيدي، بلغ مني التعب والسهر والرجال الذين معي ما جعلني اتوجه الى مخفر الشرطة ويسمى مخفر شرطة الامير غازي في منطقة الجديدة وهذا الاسم اعطي للمحلة الجديدة التي سكنها من خرج من اهل البلدة والمقيمين خارج سور النجف.

لقد كان نسيم الصباح يغري بالنوم فتمددت على فراش احد أفراد الشرطة وتركت لاصحابي حرية العودة والتصرف بالساعات الباقية حتى بداية الدوام.

لم اكد اذهب في نومي حتى سمعت لقطاً أمام باب المركز وحقيقة كان بربرة خليط من لغة عربية ولغة اجنبية ولم اهتم لذلك ولكن فضول الواجب دفعني لاستطلاع سبب تلك البربرة، اخبرني عريف المخبر ان البربر امسكوا بـ حرامي دخل الى محلتهم وحقيقة وبعد مضي هذه السنين الطويلة اقر بانه لم يخطر ببالي ان هذا المقبوض عليه هو محسن الرعيدي الذي اعقبه واريد القبض عليه وان مصيري في هذه البلدة او نقلي الى ناحية شفاثة عين التمر مرهون بالقبض عليه وعندما تذكر شفاثة يقرن بها ليس فيها عافية لانها مبتلاة بمرض الملاريا.

نهضت من مكاني وطلبت من عريف المخفر احضار المقبوض عليه من قبل البربر حيث جلست واحضره ومعه مسدس برابلك عند ذلك أدركت ان هذا هو صيدي، سألته عن اسمه ولم ينكر واصطحبته وعدت الى المركز مشيا على قدمي مع حارس معه وما ان وصلت المركز وكان السابلة قد ملأت الشوارع وشاهدت هذا المنظر مأمور المركز ومعه شخص مكبل ومحروس من شرطة وسرعان ما انتشر خبر القبض على محسن الرعيدي والذي قبض عليه هو مأمور المركز شاكر العاني ومنحت لقبا من اهل البلدة مقرون بالدرعية واذا ارادوا تمييزي عن شاكر اخر قيل شاكر درعية وهكذا جعلني محسن الرعيدي بطلا دون ارادتي.

ليلة وفاة ناظم الغزالي

كمال لطيف سالم
اديب وكاتب عراقي

كان المرحوم ناظم الغزالي يحلق ذقنه، فطلب شيئاً من الماء، وحين جيء به إليه سقط على الأرض فأستدعي له أول الأمر الدكتور (البير حكيم) الذي فحصه وأوصى بالاتصال بالدكتور شوكت الدهان ليقوم بسحب مخطط لقلبه، والى هنا كان الفنان ناظم الغزالي حياً، ويقول الأستاذ محمد القبانجي عن موت الغزالي:

– لقد أخبرني صديق في مساء يوم الاثنين وصل ناظم الغزالي الى بغداد فاتصلت تلفونياً بداره فأجابني من في الدار وطلبت ناظم فأخبروني بانه ليس على ما يرام فألححت بطلبه على التلفون، وذهبوا واخبروه برغبتي في مكالمته، وجاءني الجواب بأنه في وضع لا يستطيع معه التحرك والحضور الى التلفون، كما اخبروني بان الدكتور البير حكيم قد استدعي لفحصه،وانتهت المكالمة التلفونية.

وبعد أكثر من نصف ساعة تلقيت نداء تلفوني من أحد الأصدقاء يقول فيه: ان الموت طوى حياة ناظم الغزالي.. لم أصدق!! تناولت سماعة التلفون بسرعة وأجريت مكالمة مع بيت المرحوم الغزالي فقيل لي انه فارق الحياة، لم أصدق النبأ فذهبت الى الدكتور توفيق عبد الجبار واصطحبته معي الى دار المحروم الغزالي فأجرى الفحص عليه فأكد لي انه ميت، ثم جاء الدكتور خالد ناجي وأجرى الفحص عليه فأكد بدوره الوفاة.

ويضيف الأستاذ القبانجي:

– ان الغزالي كان يرتدي دشداشة وكان يبدو لي مبتسماً، بعد ذلك تم نقل جثة المرحوم ناظم الغزالي الى معهد الطب العدلي بناء على مشورة بعض الأصدقاء، وبقيت الجثة حتى اليوم الثاني.

وقد أجرى الدكتور عبد الصاحب علش أحد أطباء معهد الطب العدلي عملية تشريح الجثة وقال: ان عملية التشريح لجثة الفنان ناظم الغزالي استغرقت نحو الساعة ولا استطيع التحدث بشيء الآن حتى تتم معرفة نتائج الفحوص التي يجريها المعهد لمعرفة أسباب الوفاة.

وقال الدكتور علش أيضاً: أنه سيتم تسليم الجثة لأهله صباح هذا اليوم الثلاثاء.

وفي الساعة السابعة من صباح يوم الثلاثاء ذهب لفيف من أصدقاء الفقيد الى مقر مديرية الطب العدلي حيث نقلوا جثمانه الى داره عن طريق قناة الجيش فشارع فلسطين، فشارع مستشفى دار السلام ثم داره حيث وضع هناك وسط الدموع والتوجع وبدأت وفود المعزين تتوالى على دار الفقيد.

وبدأت ارتال السيارات في الشارع الكبير الذي يقع فيه دار الفقيد، والشوارع الكثيرة المحيطة حيث ازدحمت بها على سعتها، وعند الساعة العاشرة تماماً وضع الجثمان على سيارة مكشوفة يحيط بها عدد من الفنانين في مقدمتهم المرحوم علاء كامل وخزعل مهدي ومحمود القطان ومحمد كريم، ومضى الموكب الطويل من دار الفقيد الى مثواه الأخير عن طريق ساحة الأندلس فالسعدون فساحة الطيران فجسر الجمهورية فجانب الكرخ فدار الإذاعة فساحة مطار بغداد ثم مقبرة الشيخ معروف وسط موكب كبير من المواطنين الذين أفجعتهم المصيبة بفقده على هذه الصورة، وبعد ان صلّ على جثمانه وري التراب وسط الدموع والبكاء من ألوف المشيعين، وبعد تلاوة الفاتحة ألقى الأستاذ الكبير محمد القبانجي كلمة مؤثرة قال فيها:

ظهرنا للوجود وكل شيء
له بدء لعمرك وانتهاء
لئن ذهبت اوائلنا ذهابا
فأولنا وآخرنا سواء

– أخي الحبيب ناظم: لا تسل عن عظيم كدري حين علمت بخبر وفاتك على حين غرة.. فكنت والله.. لا أعلم أفي يقظة أنا أم في منام، ولا تسل عما عراني من الدهشة والانقباض، وما ألم بجوانحي من الكدر فقد كانت ساعة لا ترى فيها عيناً باكية وقلباً خافقاً وكبداً تتقطر من الأسى، فلله تلك الساعة ما أمرها على القلب بكيت.. نعم بكيت أنا وإخوانك الأوفياء الأصفياء عندما رأيناك مسجى على فراش الموت والابتسامة على شفتيك.. ان صوتك الحنون ينبعث مع الأثير الصامت وكأنك تقول لا تبكوا عليّ أيها الأخوان فأن كنت سأغيب عنكم بجسدي فأنني لن أغيب عنكم بروحي.. نعم بكينا ولو كان البكاء يجدي نفعاً لبللنا الثرى بدمعنا وأضفنا اليه من دم القلوب والأحداق، لقد كنت وإخوانك نرقب مجيئك بعد غياب طويل عن أرض الوطن، وبعد هذه السفرة التي كنت فيها على ميعاد مع الموت والتي كنت فيها نجماً ساطعاً بفنك وأدبك في الأقطار العربية، لقد كنت مثالاً للمغني الأديب الناجح، وقد أبيت ان ينعتوك بما أنت أهل له تواضعاً واعترافاً بأستاذك المفجوع بك، فقد كنت والله ترتفع باعترافك وتسمو بإنصافك.

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
نائب رئيس التحرير: عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي . رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون